أصول الثقافة الإسلامية

تأليف

مجموعة من المتخصصين
في العلوم الشرعية

الإصدار الرابع (١٤٤١هـ)

Scanned with CamScanner

أصول الثقافة الإسلامية

تأليف

مجموعة من المتخصصين
في العلوم الشرعية

الإصدار الرابع (١٤٤١هـ)

Scanned with CamScanner

حرصت حكومتنا الرشيدة على تعزيز القيم والمعارف الشرعية في مناهج التعليم على مختلف المستويات، وفي جميع المجالات، ففي التعليم الجامعي: نصت المادة الحادية عشرة من وثيقة سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية على أنَّ: «الثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي»، مما يجلي بوضوح مدى عناية ولاة الأمر - حفظهم الله - في توجيه برامج التعليم العالي وربطها بالثقافة الإسلامية التي تقوم على أصول العقيدة الإسلامية، أحكام الشرع المطهر، وقيم الإسلام العليا، ومقاصده الراقية؛ واذا فإن من الواجب العناية بها، وتعلُّمها وتعليمها، ونشر قيمها وأحكامها، ومكافحة الثقافات المنحرفة والغالية التي تختلف عنها في المنهج والمسلك، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وقال في بيان صفة هذه الأمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة:١٤٣).

وتنفيذا لهذه السياسة؛ اعتنت وزارة التعليم منذ وقت مبكر؛ بتوجيه الجامعات لتضمين برامجها التعليمية في مرحلة البكالوريوس في جميع التخصصات بأربعة مقررات من الثقافة الإسلامية، إذ أغلب البرامج يقدَّم في أربع سنوات دراسية على الأقل.

ورغبة في تعزيز جودة هذه المواد وتفعيل دورها العملي؛ كان «مشروع تطوير متطلبات الجامعة من مواد الثقافة الإسلامية» أول المشاريع الفائزة بالدعم في « برنامج تطوير الأقسام الأكاديمية في الجامعات» الذي طرحته الوزارة سنة ١٤٣٠ هـ، وذلك بهدف إحداث نقلة نوعية في منظومة التعليم العالي، وضمان الجودة في مخرجاتها التعليمية ذات الأثر المباشر، بما يسهم في تهيئة البيئة الفاعلة.

Scanned with CamScanner

ولعل من وسائل تطوير هذه المقررات؛ العناية بمجالاتها ومفرداتها ومحتواها؛ لذا حُدِّدت المجالات ومفرداتها بعناية، وذلك حسب ماتوصلت إليه الدراسات العلمية والميدانية للمشروع، والتي راعت احتياجات الطالب في الواقع المعاصر، وحاجة سوق العمل، أما المحتوى العلمي فقد وُضِعَت الضوابط المنهجية التي تحكمه ومنها: اعتماد ماجرى عليه العمل في الفتوى بالمملكة، وضبط النصوص القرآنية، وتخريج الأحاديث النبوية، والدِّقة في العزو، واعتماد المراجع الموثوقة، وتيسير الصياغة، والبُعد عن الألفاظ الغريبة والموهمة.

ونُقدِّر دعم وزارة التعليم لهذا المشروع وجعله ضمن برامجها التطويرية، كما نثمِّن جهد جامعة الملك سعود المشرفة على تنفيذ المشروع، والتي واصلت دعمه، ومتابعته، وتطويره، وتكليف اللِّجان التي ترعاه، لعشر سنوات متتالية، كما نشكر كل من أسهم في إعداد المحتوى ومراجعته وتحكيمه وتصميمه من أساتذة العلوم الشرعية واللغوية والتربوية وغيرها.

نسأل المولى عز وجل أن يبارك في هذا العمل، ويكتب له القبول، ويرزق القائمين عليه المثوبة والأجر، وأن يكون لهذه المقررات الأثر الطيِّب في توجيه طلابنا وطالباتنا بامتثالهم لأوامر دينهم العظيم، واقتفائهم منهج سلفهم الصالح، والتزامهم التوسط والاعتدال الذي هو مقتضى ما تقوم عليه سياسة بلادنا الحكيمة.

المؤلفون

Scanned with CamScanner

مُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسولنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه، وبعد:

يهدف هذا المقرَّر إلى تعريف الطالب بأصول الثقافة الإسلامية التي بها سعادته الدنيوية والأخروية. كما أنه على الطالب في هذه البلاد المباركة واجباً مهماً في بناء وطنه- المملكة العربية السعودية، حاضنة الإسلام، وقِبْلة المسلمين- ولن يستطيع القيام بدوره المطلوب إلا بعد أن يدرك أصول ثقافته الإسلامية وإنجازات أُمّته الحضارية، ويعرف التحديات المعاصرة وكيفية مواجهتها؛ فالثقافة الإسلامية إذن بهذا المفهوم هي عِلْمٌ شرعي ينبغي طلَبه وتعلُّمه.

ومقررنا هذا(أصول الثقافة الإسلامية) جاء في اثنتي عشرة وحدة، على النحو الآتي:

- الوحدة الأولى: تعريف الثقافة الإسلامية وأهميتها ومجالاتها.
- الوحدة الثانية: مصادر الثقافة الإسلامية ورافدها.
- الوحدة الثالثة: خصائص الثقافة الإسلامية.
- الوحدة الرابعة: الحضارة الإسلامية.
- الوحدة الخامسة: أصول الإيمان الستة. (الإيمان بالله تعالى).
- الوحدة السادسة: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل عليهم السلام.
- الوحدة السابعة: الإيمان باليوم الآخر.
- الوحدة الثامنة: الإيمان بالقدر.

Scanned with CamScanner

- الوحدة التاسعة: أهم التحديات الثقافية المعاصرة.
- الوحدة العاشرة: نواقض الإيمان.
- الوحدة الحادية عشر: الشريعة الإسلامية وأبرز مقاصدها.
- الوحدة الثانية عشر: العبادات في الإسلام وحِكَمِها.

وقد ركَّزنا على أن نُعزِّز ما نذكره من موضوعات بأدلة الكتاب الكريم والسُنّة المطهرة، فهما أصل ديننا الحنيف، وعماد ثقافتنا الإسلامية.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

***

Scanned with CamScanner

الوحدة الأولى

تعريف الثقافة الإسلامية وأهميتها ومجالاتها

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على :

١ – معرفة مفهوم الثقافة لغةً واصطلاحاً.

٢ – المقارنة بين مصطلح الثقافة وما يقاربه من مصطلحات.

٣ – بيان أهمية دراسة الثقافة الإسلامية.

٤ – تحديد مجالات الثقافة الإسلامية ، وموضوعاتها.

Scanned with CamScanner

مفهوم أصول الثقافة

١ – أصل الشيء:

أساسه الذي يقوم عليه، وما يبنى عليه غيره، أو ما يتفرع عنه غيره[١].

٢ – الثقافة لغةً:

جاءت من مادة (ث ق ف)، يقال: ثَقِفَ الرجلُ الشيءَ ثَقْفاً وثِقافاً وثُقُوفةً: حَذَقَه وتعلَّمه.

فالجَذر اللُّغوي لكلمة الثقافة يدور على عدة معان، منها: الفِطنة والذكاء، وسرعة التعلم، والمهارة، ومعرفة ما يُحتاج إليه وضبطه وحسن القيام به[٢].

فنلاحظ هنا أن استعمال هذه المادة اللغوية يأتي على صورتين:

الصورة الأولى: استعمال مادي، ومنه: تثقيف الرماح: تسويتها وتقويمها.

الصورة الثانية: استعمال معنوي، ومنه: ثَقَّفَ الإنسانَ: أدَّبه وهذَّبه وعلَّمه.

٣ – الثقافة اصطلاحاً:

تعد الثقافة علماً جديداً، اختلفت حوله تعريفات العلماء والباحثين[٣]؛ وسبب هذا الاختلاف: تنوّعُ المشارب الفكرية والمنهجية، والمجالات العلمية والاختلاف العقدي لدى من تناول تعريف هذا المصطلح.

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/٢٠)، والتعريفات، للجرجاني (١/٤٥).

(٢) انظر جميع هذه المعاني في: لسان العرب، لابن منظور، والنهاية، لابن الأثير، مادة (ث ق ف).

(٣) بلغت تعريفات الثقافة نحوا من (١٦٤) تعريفا. انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية (٥٨)، والثقافة

Scanned with CamScanner

ومن أقدم هذه التعريفات تعريف (إدوارد تايلور)[1] (Edward Burnett Tylor) حيث عرَّف الثقافة بأنها: «الكلّ المعقد الذي يشتمل على المعرفة، والعقيدة، والفن، والأخلاقيات، والقانون، والعادات، والقدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع»[2]، وسارت منظمة اليونسكو على هذا المنحى في تعريفها للثقافة[3].

والمُلاحَظ على هذا التعريف هو: «العموم» و«المساواة بين تأثير عناصر الثقافة دون بيان الأهم منها».

وحتى نتجنب هذا العموم – وتلك المساواة بين كل عناصر الثقافة في التأثير – في تعريفنا للثقافة الإسلامية؛ وجب أن نحدد مضمون ثقافتنا الإسلامية، ومنهجها؛ لكي تتمايز عن غيرها من الثقافات، فالثقافة تحمل مقومات الدين والمذهب المنسوبة إليه في مقوماتها، وعناصرها، وخصائصها. والعقيدة هي أهم عنصر في تحديد ثقافة مجتمع ما.

٤ – مفهوم الثقافة الإسلامية:

هي: جملة العقائد، والأحكام والتشريعات، والقيم والمبادئ، والآداب، والعلوم التي تُشكّل شخصية الفرد، وهُوِية الأُمّة، وفق أسس وضوابط الإسلام[4].

---

(١) إدوارد تايلور (١٨٣٢ – ١٩١٧م) انثروبولوجي إنجليزي، عمل بجامعة اكسفورد، انظر: الموسوعة العربية الميسرة (٩٢٠).

(٢) علم الاجتماع ومدارسه، د. مصطفى الخشاب (١٨٩).

(٣) حيث إن منظمة اليونسكو عرَّفتْ الثقافة بأنها: «جميع السمات الروحية والمادية والفكرية، والعاطفية التي تميز بها مجتمع بعينه، وهي تشمل الفنون، والآداب، وطرائق الحياة، والحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات». انظر: الوثائق الرئيسة لإعلان مكسكو بشأن الثقافة، مؤتمر اليونسكو بشأن الثقافة، مكسكو، ١٩٨٢م (٨).

(٤) انظر: الثقافة الإسلامية، أ. د. محمد باجابر وزميله (١٩) بتصرف يسير.

Scanned with CamScanner

- ونعني بـ «أصول الثقافة الإسلامية» في هذا المقرر ثلاثة أمور:

الأول: مصادر الثقافة الإسلامية، وخصائصها.

الثاني: أصول الإيمان السِتَة، ونواقض الإيمان، وأهم التحديات الثقافية.

الثالث: أصول التشريع الإسلامي، وتحته: مفهوم الشريعة، ومقاصدها، والعبادات وحِكَمَها.

***

المصطلحات المقاربة لمصطلح الثقافة

نحاول هنا بيان المصطلحات المتقاربة مع مصطلح الثقافة، والتي تتداخل معها أحيانا، لتوضيح الفروق الجوهرية بينها، ولنقف على تحديد كل مصطلح منها، ومن ذلك[1]:

١ - مصطلح الحضارة:

الحضارة لغة: هي الإقامة في الحضر، ومنه قول القُطامي:

وَمَنْ تَكُنِ الْحَضَارَةُ أَعْجَبَتْهُ ❖ فأيَّ أناسِ باديةٍ تَرَانَا[2].

فالمفهوم الأصيل لكلمة «الحضارة» في اللغة العربية: هو الإقامة الثابتة في المدن والقرى.

وقد كان المؤرخ الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون[3] صاحب سَبْق في البحث عن الحضارة وتعريفها، تبعاً لأحوال عصره وبيئته، لقد أبان أنها: ذلك النمط من الحياة

---

(١) للتوسع في ذلك انظر: الحضارة، الثقافة، المدنيّة، نصر محمد عارف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والثقافة والحضارة، د. فؤاد السعيد وآخرون (٥٢).

(٢) ديوان القطامي، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب (٧٦).

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد، تونسي الأصل، ثم قاهري، مالكي المذهب، ويعرف بابن خلدون، ولد في غرة رمضان سنة ٧٣٢هـ، وتوفي في مصر عام ٨٠٨هـ. وتقلّد وظائف عديدة آخرها القضاء، أهم كتبه: المقدمة انظر: الضوء اللامع، للسخاوي (١٤٥/٤)، الأعلام، للزركلي (٣٣٠/٣٠).

Scanned with CamScanner

المستقرة الذي يناقض البداوة، فينشئ القرى والأمصار، ويضفي على حياة أصحابه فنوناً منتظمة من العيش، والعمل، والاجتماع، والعلم، والصناعة، وإدارة شؤون الحياة، والحُكْم. وقد عبر عنها بدلالة واضحة قائلا: «الحضارة غاية العمران»[1].

الحضارة اصطلاحاً: هناك اتجاهان في تعريف الحضارة:

الاتجاه الأول: يقصر تعريف الحضارة على الجانب المادي، وبالتالي يعرفها بأنها: «مظاهر الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي، في الحضَر»[2].

الاتجاه الثاني: يرى أن الحضارة تشمل الجوانب المعنوية والفكرية بالإضافة إلى الجانب المادي، وبالتالي قالوا: «الحضارة هي: الحصيلة الشاملة للمدنية وللثقافة؛ فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية»[3].

وقد ذهب إلى هذا الاتجاه الثاني أغلب الذين كتبوا في تاريخ الحضارة[4].

٢ – مصطلح العلم: العلم قسمان:

أ) **عِلْمٌ شرعي:** «وهو العلم الواقع عن الكتاب، والسُنّة، وإجماع الأُمّة، والقياس على أحد هذه الأصول الثلاثة»[5].

---

(١) مقدمة ابن خلدون (٣٨).

(٢) وسطية الإسلام وأمته، عمر بهاء الدين الأميري (١٦).

(٣) مقومات الحضارة الإسلامية، د. سليمان حزين، ط: المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، الأزهر (٢٨٣).

(٤) مثل: ول ديورانت، وغوستاف لوبون، وحسن إبراهيم مصطفى، ومصطفى السباعي.

(٥) العدة، لأبي يعلى (٨٢/١).

Scanned with CamScanner

ب) **عِلْمٌ دنيوي:** ومنه العلوم النظرية، والعلوم التطبيقية، ويلزمه البرهان والدليل، وسبيل ذلك: التجربة، والملاحظة، والاستنتاج...إلخ.

قال ابن تيمية رحمه الله مبينا هذين القسمين: «العلم: إما نقل مصدَّقٌ عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم»[1].

«والعلم النافع هو ما جاء به الرسول ﷺ، وقد يكون علم من غير الرسول ﷺ ولكن في أمور دنيوية، مثل: الطب، والحساب، والفِلاحة، والتجارة»[2].

***

أهمية الثقافة الإسلامية

أهمية دراسة الثقافة الإسلامية بما لها من خصائص ومميزات، تجعلها جديرة بالبحث والفهم العميق، ولكونها أيضاً شاملة للنُّظُم الإسلامية في كل مجالاتها، وفيما يأتي رصد لأهمية دراستها، وهي: -

١ - ترسيخ للهوية الإسلامية:

مفهوم الهوية: هي الخصوصية والسمات التي تميز جماعة بشرية عن غيرها، وهذه السمات المميزة قد تكون في: العقيدة، أو اللغة المشتركة، أو التاريخ، أو الثقافة...إلخ[3].

مفهوم الهوية الإسلامية: «الإيمان بعقيدة هذه الأُمّة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٢٩).

(٢) المصدر السابق (١٣/٣٢٩).

(٣) انظر: الهوية والبناء الاجتماعي، أ. خالد حامد (١٢٩).

Scanned with CamScanner

بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ، والشهادة على الناس»[1].

على أن العقيدة الإسلامية هي المرجع الأصيل للهوية الإسلامية، وعليها مدار الولاء والبراء، كما جعل الإسلام شعائر الدين من مرتكزات الهوية الإسلامية التي تميز الفرد والمجتمع، وهى من عوامل التميز من حيث المصدر والزمان والمكان، فالمسلم هو من صلَّى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، ورضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا[2].

٢ – تحصيل للعلم الشرعي:

فقد رغَّبَ الإسلام في العلم والتعلُّم وأثنى على أهله ومدحهم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، ويقول ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٩)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (...وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ)[3].

والعلم الممدوح نوعان:

- العلم الشرعي إذا كان بإخلاص وغايته العمل.

---

(١) مستقبل الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية، د. خليل نوري (٤٥).

(٢) انظر: مستقبل الهوية الإسلامية في ظل العولمة الثقافية، د. خليل نوري (٤٧ – ٥٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث (٢٦٩٩).

Scanned with CamScanner

- العلم الدنيوي إذا أريد به عمارة الأرض وإقامة العبودية لله تعالى.

ولكن الممدوح في الشرع **بالأصالة** هو العلم الشرعي، والعلم الدنيوي مدْحُهُ لغيره لا لذاته، ولهذا ذمَّ الله تعالى من تعلَّم علم الدنيا ونسي عِلْم الآخرة، فقال سبحانه: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (الروم:٧). والثقافة الإسلامية تدفع نحو التعلُّم بشقيه الشرعي، والدنيوي، وتحثُّ عليه.

٣ – القدرة على الإفادة والإضافة:

الثقافة الإسلامية تعطي الطالب والطالبة أسباب التفاعل الإيجابي مع الواقع، والإضافة إلى العِلْم، والتجارب الحضارية الرائدة؛ بما ترتكز عليه من قواعد علمية ومنهجية، ومن قدرة على الإبداع والتجديد مع انضباط بالمنهج الإسلامي المتوازن، دون تمييع أو انغلاق، ومن استناد أصولها وقواعدها على الحقائق العلمية والبُعد عن الخرافة أو الشعوذة.

وهي في سبيل ذلك تحثّ على العِلْم، وتجمع بينه وبين العمل، وتوائم بين التزام الدين وعمارة الأرض، ورسول الله ﷺ أسوة لنا جميعا في الإفادة من التجارب الناجحة، فعن أنس رضي الله عنه قال: (لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الرُّومِ، قِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَاباً إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُوماً؛ فَاتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ فِضَّةٍ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ، وَنَقَشَ فِيهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)[1].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه، حديث (٢٩٣٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: اللباس والزينة، باب: في اتخاذ النبي ﷺ خاتما لما أراد أن يكتب إلى العجم، حديث (٢٠٩٢).

Scanned with CamScanner

٤ – التعرّف على التحديات التي تواجه الأُمّة:

بدراسة الثقافة الإسلامية ينتبه الطالب للشبهات التي تثار حول الإسلام وشرائعه والمسلمين وتاريخهم وحضارتهم؛ بدافع الحقد والبغض من بعض أقلام المستشرقين والمستغربين؛ خاصة في قضايا المرأة، ومسائل الحدود الشرعية، وحقوق الإنسان بزعمهم، ويعرف كيفية مواجهتها والتصدي لها، والرد عليها، كما يتعرف على موجات الغزو الثقافي والفكري المتتابعة على بلاد الإسلام تحت مسميات عِدّة: علمانية، وعولمة، وتغريب...إلخ.

* * *

مجالات الثقافة الإسلامية

سبق أن قلنا إن الثقافة الإسلامية تتمحور حول الإسلام عقيدة وشريعة، وأخلاقاً، ومع ذلك فإنه ينبغي أن تُحدَّد موضوعاتها، وإطار كل موضوع منها، ومنهجه البحثي والعلمي، فتلك سمة الدراسة العِلْمية الأكاديمية، **وهذه الموضوعات هي:**

١ – **الدين الإسلامي والأنظِمة تحته، على النحو الآتي:**

أ) **العقيدة الإسلامية**: تعريفها، أصول الإيمان الستة، وما يتعلق بها.

ب) **العبادات**: ببيان مفهومها، وأنواعها، وكيفياتها، وآثارها، وحِكمها.

ج) **النظام الاجتماعي**: ويتناول مفهوم الأسرة وأهميتها، ومكانتها، وخصائصها، وعوامل حمايتها، وما يتعلق بالمجتمع وعوامل بنائه واستقراره، وضوابطه...إلخ.

د) **النظام الاقتصادي**: ويتناول أسس الاقتصاد الإسلامي ومزاياه، وأهميته وأهدافه، والعمل ومجاله، وحقوق العاملين، والمِلْكيّة، والتكافل الاجتماعي.

Scanned with CamScanner

هـ) **النظام السياسي:** يتناول الإمامة الكبرى، وطرائق تنصيب الحاكم، وأنظمة الحُكْم والإدارة.

و) **النظام الخُلُقِي:** ويبحث في أسس الأخلاق وأهميتها، وخصائصها، وأخلاقيات المهنة.

ز) **نظام الدعوة والحِسْبَة:** ويتناول أهمية الدعوة، وحُكْمها، ومنهجها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضوابطه.

هذه النظم يبحثها مقرر الثقافة الإسلامية من حيث مصادرها، وأسسها، وخصائصها وأهدافها وآثارها ووسائلها، أما تفصيلات كل نظام ودقائقه فمن شأن المختصين في هذه النُّظُم.

٢ – القضايا الفكرية:

بتأصيلها على الكتاب والسُنّة، وفهْم سلف الأُمّة، ومنهج أهل السُنّة والجماعة، دفعاً للمفاهيم الخاطئة، ومن ذلك: حقوق الإنسان، والحرية، والتسامح، وتقارب الأديان، وتجديد الخطاب الديني.

٣ – الأفكار الوافدة:

وذلك لبيان حكم الإسلام عليها، ونقد فاسدها، ومنها: الرأسمالية، والاشتراكية، والعولمة، والعلمانية، والوجودية، والداروينية، وغيرها[1].

---

(١) انظر: الثقافة الإسلامية: ثقافة المسلم وتحديات العصر، أ. د. محمد أبو يحيى وآخرون (٢٥، ٢٦).

Scanned with CamScanner

الوحدة الثانية

مصادر الثقافة الإسلامية وروافدها

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على:

١ – إدراك قيمة المصادر التي تقوم عليها ثقافتُنا الإسلامية.

٢ – معرفة عظمة القرآن الكريم، مع ذكر خصائصه، وبيان هداياته.

٣ – توضيح مكانة السُنّة من القرآن الكريم، وأثرها في الثقافة الإسلامية.

٤ – فهم معنى الإجماع باعتباره أحد مصادر الثقافة الإسلامية.

Scanned with CamScanner

مصادر الثقافة الإسلامية وروافدها

المصادر لغةً: جمع، ومفرده مصدر، وهو: موضع الصدور، وصدر كل شيء: أوله. فالمصدر: هو الأصل الذي ينشأ عنه غيره، وينبثق منه[1].

ونعني بها هنا: القواعد الكبرى التي تُعطي للثقافة الإسلامية قيمتها، وقوتها، واستمرارها وبقاءها، وشمولها وغايتها.

والروافد لغةً: جمع مفرده رافد، ولها معانٍ، منها: الإعانة، والدعم، والعطاء[2].

ونعني بها هنا: المَعِين الذي يعطي للثقافة الإسلامية ما يميزها من: تراث إسلامي، وتاريخ، ولغة، **دون أن يكون له مدخل في العقيدة أو الشريعة**؛ لكونهما لهما مصادرهما الأساسية.

وإذا علمنا أن القرآن والسُنّة هما عماد الثقافة الإسلامية تجلّتْ لنا العلامة الفارقة بين ثقافتنا هذه وبين غيرها من الثقافات الأرضية، فمصادرنا التي نستقي منها ثقافتنا الإسلامية مصادر ثابتة صحيحة موثوقة كاملة وشاملة من ربٍّ لطيفٍ خبيرٍ، لا يمكن بحالٍ أن تنحرف أو أن تخطئ.

وفيما يأتي نستعرضُ مصادر ثقافتِنا الإسلامية: الأساسية منها، والروافد الفرعية بشيء من التفصيل:

***

(١) انظر: الصحاح، للجوهري، مادة (صدر).

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (رفد).

Scanned with CamScanner

المصادر الأساسية

وهي: القرآن الكريم، والسُنّة النبوية، والإجماع، والقياس.

المصدر الأول: القرآن الكريم

١- تعريف القرآن الكريم ومنزلته:

تعريفه: «كلامُ الله، المنزل على نبيه محمد ﷺ، المُعْجِز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر»[١].

منزلته: القرآن الكريم هو المصدر الأول للثقافة الإسلامية، وهو آخر الكتب السماوية، وخاتمها، وأطولها، وأشملها، وهو الحاكم عليها[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨).

قال السعدي رحمه الله: «﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: أي مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلهية، والأخلاق النفسية؛ فهو الكتاب الذي يتبع كل حق جاءت به الكتب، فأمر به، وحث عليه، وأكثرَ من الطرائق الموصلة إليه، وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحِكَم والحِكْمَة، والأحكام، الذي عُرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل، وإلا لو كان من عند الله لم يخالفه»[٣].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (١/ ١٥).

(٢) انظر: عظمة القرآن، محمود الدوسري (٣٥٧ – ٣٧٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٩٠).

Scanned with CamScanner

وهو ضمان لمن اتبعه بألا يشقى في الدنيا والآخرة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ضمن الله لِمَن قرأ القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (طه: ١٢٣)»[(١)].

وهو هداية للبشر إلى الطريق المستقيم، قال سبحانه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥ – ١٦).

وفي معنى السّلام في الآية: قيل: «السّلام: هو الله عز وجل، وسبيلُهُ: دينه الذي شرع لعباده، وبعث به رسله، وقيل: السلام هو السلامة، والمراد به طرائق الهداية»[(٢)].

٢- من خصائص القرآن الكريم:

أ) أنه كلام الله تعالى: فالقرآن الكريم كلام الله على الحقيقة، تكلَّم به سبحانه، وتلقاه جبريل عليه السلام، فنزل به، وأداه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تلقاه من الربِّ جَلَّ شأنه[(٣)].

وكلام ربنا غير مخلوق، فهو كلام مَنْ ليس كمثله شيء، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٦).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣٦/٧)، رقم (٣٤٧٨١)، والحاكم في المستدرك، رقم (٣٤٣٨) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢٢/٢).

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس (١٥٣ – ١٥٤).

Scanned with CamScanner

فهذه الآية الكريمة «حُجّة صريحة لمذهب أهل السُنّة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها»[1] فكفى بذلك فضلا وشرفاً.

ب) **أنه معجز:** وقد بين العلماء صوراً من وجوه إعجازه، ومن أبرزها: الإعجاز البياني، وكذلك من وجوه إعجاز القرآن الكريم: الإعجاز التشريعي، والإعجاز الغيبي.

يقول د. محمد بن عبد الله دراز: «لعمري! لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات — لعمري! إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزة»[2].

ج) **الحِفْظُ:** ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). فلم تتبدل منه كلمة، ولا تَغيَّر فيه حرف واحد؛ وهذا يمثل للثقافة الإسلامية تميزاً وثباتاً في منطلقاتها المحفوظة في آيات القرآن دون تحريف بالزيادة أو النقصان[3].

د) **الشمول:** حيث يشتمل على الأصول الجامعة والنظم الضابطة في جوانب الحياة المختلفة؛ في النظام الاقتصادي، والسياسي، والأخلاقي، مع

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (٢/٢٢٦).

(٢) النبأ العظيم (٢٠٩).

(٣) انظر: منطلقات أساسية في الثقافة الإسلامية، د. نوال العيد، د. شريفة الحازمي (٣٥).

Scanned with CamScanner

تنوع في الخطاب من إقامة للحجج العقلية، والأدلة الكونية، ولفْتِ النظر إلى الأقيسة، وكذا مخاطبته للوجدان ودعوته لطهارة القلب وزكاة النفس[1].

٣- **واجبنا تجاه القرآن:**

أ) **الإيمان به والتسليم المطلق له:** وبكل ما جاء فيه، وأنه كلام الله المنزَّل على رسوله ﷺ، والإيمان بأنه محفوظ لا يتطرق إليك أدنى شك.

ب) **قراءته وتدبره:** قال سبحانه: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، والخِطَاب وإن كان ظاهره موجهًا للنبي ﷺ فإنه أيضا أمرٌ لأُمّته، بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ (المزمل: ٢٠). وفي شأن التدبر والفهم عن القرآن، والتأثر عند قراءته أو سماعه، يقول سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)، ويقول جلَّ وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد: ٢٤).

وفي فضل قراءة القرآن يروي ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: (مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)[2].

---

(١) انظر: الثقافة الإسلامية: أ. د. محمد باجابر وزميله (٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر، حديث (٢٩١٠). وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

Scanned with CamScanner

ج) **العمل به:** فالعمل بالقرآن هو ذروة حقوق القرآن وسنامها، وهو الغاية من تنزِّله على رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٥)، يقول الحسن البصري رحمه الله: (إن من كان قبلكم رأوا القرآنَ رسائلَ من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها بالنهار)[١].

والعمل به يتضمن: تحليل حلاله، وتحريم حرامه، والاعتبار بأمثاله، والوقوف عند عجائبه، ورد مسائل النزاع إليه، وترك الإلحاد في ألفاظه ومعانيه.

٤- هدايات القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩).

يقول الشنقيطي[٢] رحمه الله: «هذه الآية الكريمة أجمل الله جلَّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرائق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة»[٣] فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في:

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي (٧٢).

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ولد عام (١٣٢٥هـ)، في شنقيط في دولة موريتانيا الإسلامية، عمل بالقضاء والتدريس والفتيا، لزم عقيدة أهل السُّنّة والجماعة، من أبرز مؤلفاته: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، توفي عام ١٣٩٣هـ. ينظر: (من علماء الحرمين، للشيخ محمد عطية سالم: ٤٤٥ وما بعدها).

(٣) أضواء البيان (١٧/٣).

Scanned with CamScanner

أ) **العقيدة:** هدى القرآن لتوحيد الله جَلَّ وعلا في ربوبيته، وفي عبادته، وفي أسمائه وصفاته، والإيمان بالمعاد والحساب، فهي عقائد نافعة فيها صلاح القلوب وحياتها وكمالها؛ فإنها تملأ القلوب محبة لله تعظيما له وألوهية وإنابة.

ب) **العبادات:** جاء بالفروض المهذِّبة للنفس بلا قَهْر للفطرة، أو إيذاء للبدن، يكون بها المرء في أكمل الحالات وأجلها، وأسهلها وأوصلها إلى المقصد منها.

ج) **الأخلاق:** جاء بالحضِّ على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، كالصدق، والأمانة، والعفاف، والأمر بالإحسان إلى المحتاجين والضعفاء، ومحاربة الفواحش والمنكرات، والحثِّ على كل طريق يُؤلِّف القلوب، ويجمعها على الخير والحق والعدل.

د) **الاجتماع:** جاء بمبادئ العدل، والتعاون، والرحمة، وإباحة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه المشروع.

هـ) **الاقتصاد:** جاء بحماية المال والمحافظة عليه، والنهي عن أكل أموال الناس بالباطل، ومنع الرِّبا والغشِّ والاحتكار، والأمر بإخراج الزكاة.

و) **السياسة:** جاء بالشورى، وإقامة العدل، ورفع الظلم، وإيصال الحقوق لأصحابها[1].

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (١٧/٣) وما بعدها.

Scanned with CamScanner

المصدر الثاني: السُنّة النبوية

١- **تعريف السُنّة اصطلاحا:** «ما أُثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خِلْقِية أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها»[١].

٢- **حجيتها:** تعدُّ المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي مستقلة بتشريع الأحكام، كالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧)، وقد ثبت عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه أنه ﷺ قال: (أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلاَلٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ)[٢].

قال الشوكاني رحمه الله: «ثبوت حجية السُنّة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظَّ له في دين الإسلام»[٣].

٣- **أقسام السُنّة:** تنقسم إلى:

أ) **سُنّة قولية:** كقوله ﷺ: (إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يقبل إلا طَيِّبًا)[٤].

---

(١) السُنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي (٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السُنّة، باب: في لزوم السُنّة، حديث (٤٦٠٤)، واللفظ له، والترمذي في سننه، كتاب: العلم، باب: ما نُهيَ عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، حديث (٢٦٦٤) وقال: هذا= =«حديث حسن غريب من هذا الوجه».

(٣) إرشاد الفحول (١/ ٩٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة [illegible]

Scanned with CamScanner

ب) **سُنّة فعلية:** وهي ما صدر عن النبي ﷺ من أفعال ليست جبلّية؛ كأداء الصلاة بهيئاتها المعروفة، وكيفية الوضوء، ونحو ذلك[1].

ج) **سُنّة تقريرية:** وهي إقرارات الرسول ﷺ لما صدر عن بعض أصحابه بسكوته ﷺ، كما ثبتَ أنْ قُدِّمَ للنبيِّ ﷺ ضبٌّ، فرفعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَهُ، فقال خالدُ بنُ الوليدِ رضي الله عنه: أحرامٌ الضبُّ يا رسولَ الله؟ قال: (لا، ولكنه لم يكنْ بأرضِ قومي فأجدُني أعافُهُ)، قال خالدٌ رضي الله عنه: فاجتررتُهُ فأكلتُهُ، ورسولُ اللهِ ﷺ ينظرْ، فلم ينهني[2].

٤- منزلة السُنّة من القرآن:

منزلة السُنّة الثابتة عن النبي ﷺ من القرآن على ثلاثة وجوه:

أ) **أن تكون موافقة:** فيأتي الحكمُ في القرآن والسُنّة معا، مثل: الأمر بالصلاة، والنهي عن الربا.

ب) **أن تكون مبينة:** مثل تفسير «الزيادة» في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦)، فسَّرها ﷺ بالنظر إلى وجه الله تعالى[3].

---

(١) انظر: أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام، د. محمد العروسي عبد القادر (١٤٥-١٦٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الذبائح والصيد، باب: الضبِّ، حديث (٥٥٣٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: إباحة الضبِّ، حديث (١٩٤٦).

(٣) انظر: حديث مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ، حديث (١٨١). رواه صهيب رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

ج) **أن تكون زائدة على ما في القرآن**: مثل السُنّة الواردة في تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها، وإيجاب استئذان المرأة عند إرادة تزويجها[1].

٥- التسليم لنصوص القرآن الكريم والسُنّة المطهرة:

يجب التسليم للقرآن والسُنّة، والانقياد لهما؛ فذلك تابع لكمال الإيمان؛ إذ يزداد مع زيادة الإيمان، ويضعف مع ضعفه، فكلما زادت في قلب المؤمن الخشية لله تعالى، والتعظيم له، واليقين بحكمته وعلمه ورحمته، زاد التسليم والانقياد.

أما إذا عارض المرء بعقله وما يُلقى عليه من شبهات نصوص الوحي فإنه لن يدوم على إيمان، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من تعوَّد معارضة الشرع بالرأي لا يستقر في قلبه الإيمان»[2].

وهذه الشبهات التي يعارض بها أهلُ الزيغ نصوصَ الوحي لا تخرج عن كونها (أهواءً)؛ كما صرحَّ بذلك القرآن الكريم: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠).

فينبغي أن تعلم أن آيات القرآن الكريم ونصوص السُنّة بينة جلية، يفهمها الإنسان من خلال فَهْمِ اللغة التي حملت هذه الآيات، وبالمنهج الذي بينه النبي

---

(١) انظر: الفكر المنهجي عند المحدثين، همام عبد الرحيم (٣٠، ٣١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/١٠٢).

Scanned with CamScanner

ﷺ، وسار عليه صحابته؛ فاتخاذ فَهْمِ الصحابة ومن سار على نهجهم معياراً لضبط المفاهيم ضمانٌ للوصول إلى مراد الله ومراد رسوله ﷺ.

المصدر الثالث: الإجماع

تعريفه عند الأصوليين: «اتفاق مجتهدي أُمّة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من الأعصار على أمر من الأمور»[1].

ودليله: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).

وجه الاستدلال: أن في الآية وعيداً لمن شاقَّ الرسول ﷺ واتبع غير سبيل المؤمنين، والوعيد لا يكون إلا على أمر مُحرَّم أو ترك واجب، والإجماع هو سبيل المؤمنين.

وقد جاءت أحاديث كثيرة عن المعصوم ﷺ يخبر فيها بعصمة هذه الأُمّة إذا اتفقت، أن يقع منها الخطأ في ذلك الاتفاق، ومنها:

قول النبيِّ ﷺ: (...سألت الله ألا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها)[2].

وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ)[3].

---

(١) إرشاد الفحول، للشوكاني (١/٩٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، عن أَبِي بَصْرَةَ الْغِفَارِيِّ، حديث (٢٧٢٢٣)، والطبراني في الكبير (٢/٢٨٠).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الأدب، باب: ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، حديث= =(٢٨٦٣). وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

Scanned with CamScanner

المصدر الرابع: القياس

تعريفه عند الأصوليين: «إلحاق فرع بأصل في حكم؛ لعلة جامعة»[1].

حجيته: جمهور العلماء على أن القياس أصلٌ من أصول الفقه، وحُجَّة شرعية في الأحكام الشرعية العملية.

أدلتهم: قوله ﷺ لمن سألته عن الصيام عن أُمِّها بعد موتها: (أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ فَقَضَيْتِيهِ أَكَانَ يُؤَدِّى ذَلِكِ عَنْهَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَصُومِى عَنْ أُمِّكِ)[2].

ومثاله: تحريم تعاطي المخدرات قياسا على الخمر التي وَرَد النَّصُّ بتحريمها في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة: ٩٠). فالعلة في تحريم الخمْر الإسكار، وهي متحققة في المخدرات.

***

الروافد الفرعية للثقافة

الروافد الفرعية للثقافة الإسلامية عديدة ومتنوعة، وكلها يثري ثقافتنا ويغذِّيها، لكن كما ذكرنا سلفاً بأن هذه الروافد لا مدخل لها في عقيدتنا أو عباداتنا أو شريعتنا، إنما هي من جملة ما يميز ثقافتنا الإسلامية، ويحدد هويتها، ومنها:

---

(١) إرشاد الفحول، للشوكاني (٢/٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصيام، باب: قضاء الصيام عن الميت، حديث (١١٤٨). عن ابن عباس رضي الله عنهما.

Scanned with CamScanner

الرافد الأول: التاريخ الإسلامي

حين نحدد الروافد الفرعية لثقافتنا الإسلامية لا نستطيع أن نغفل أهمية التاريخ الإسلامي؛ بما يمتاز به تاريخنا الإسلامي من توثيق ودقة، وتنوع في المادة التاريخية.

فالتاريخ الإسلامي لاسِيَّمَا في القرون الثلاثة المفضلة[1] كان نموذجاً للتطبيق العملي للإسلام عقيدة، وعبادة، وخلقا، وفي جوانب الحياة المختلفة؛ مما يبرز أهمية الوعي بالتاريخ، كما يعبر عن ذلك العلامة ابن خلدون بقوله: «فنُّ التاريخ فنٌّ عزيز المذهب، جمُّ الفوائد، شريف الغاية؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم؛ حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا»[2].

الرافد الثاني: التراث الإسلامي

وهو: «ما صحَّ من التراث الإسلامي الأصيل من عهد النبي ﷺ إلى اليوم من: تاريخ، وعلوم، ومعارف، وأعراف، واجتهادات فردية كانت أم جماعية في مجالات مختلفة، شريطة أن تهدف هذه الأمور إلى ما فيه مصلحة المسلمين في شؤون دينهم ودنياهم»[3].

---

(١) وقد صرَّح بهذا التفضيل المذكور: قولُهُ ﷺ: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، حديث (٢٦٥٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث (٢٥٣٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) المقدمة (١٣)، وانظر: الوجيز في الثقافة الإسلامية، د. همام سعيد وآخرون (٧٤ – ٧٩).

(٣) أضواء على الثقافة الإسلامية، د. أحمد فؤاد محمود (٣٣).

Scanned with CamScanner

والمقصود بما صحَّ من تراثنا أي ما نسب لأهل السُنّة والجماعة من هذه العلوم احترازاً عن تراث أهل الضلال: كالخوارج، والرافضة، والمعتزلة، وغيرهم من أهل الضلال، إذ لا يعتدُّ بما كتبوه لمخالفته صريح الكتاب والسُنّة.

الرافد الثالث: اللغة العربية

إذا كانت اللغات من أعظم شعائر الأمم؛ فإن العربية هي شعارأهل الإسلام، وهي لسان الوحي المبين، ولغة التعبد لله رب العالمين، ولذا بلغ من عناية أئمة الإسلام باللغة العربية أنهم كرهوا أن يتخاطب الناس في سائر كلامهم بغير العربية، يقول ابن تيمية رحمه الله: «إنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور؛ فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف»[1].

***

الوحدة الثالثة

خصائص الثقافة الإسلامية

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على:

١ – معرفة خصائص الثقافة الإسلامية إجمالاً.

٢ – بيان مظاهر ربانية الثقافة الإسلامية.

٣ – كتابة مقالة عن مظاهر شمولية الثقافة الإسلامية للإنسان بدءاً وانتهاءً.

٤ – استثمار خصيصة «عالمية الثقافة» في الدعوة إلى الإسلام.

Scanned with CamScanner

خصائص الثقافة الإسلامية

الخصائص: جمعٌ، ومفردُهُ خصيصة، ومعناها: تفرد الشيء بصفات تميزه عن غيره، وتُظْهِر فضله[1].

ولاشك أن للثقافة الإسلامية خصائص تميزتْ بها عن غيرها من الثقافات الأرضية، وهذه الخصائص متعددةٌ لكنها تجتمع عند خصيصة واحدة تنبثق عنها غيرها، وترجع إليها وهي: كونها ربانية المصدر، جاءت من لدنٍ حكيمٍ خبيرٍ.

ومعرفة الطالب والطالبة بهذه الخصائص لثقافته الإسلامية يزيده استمساكا والتزاما بثقافته العريقة النافعة الهادية؛ فهي تبين للمرء غايةَ وجوده في الكون، وتُبَيِّنُ له علاقته بخالقه، وعلاقته مع الناس، وإلى أين مصيره ومنتهاه، فيعلم حينئذ رحمةَ ربه به؛ وهدايته له، إذ لم يدعْه يضع منهجَ حياته بنفسه، ولا شكْلَ نظامه وشريعته وعقيدته من عقله، بل تولَّى ﷻ أمر ذلك، وأوضحه غاية الوضوح، **وإليك بعضا من هذه الخصائص:**

***

أولاً: الربانية

فالإسلام دين الله الذي ارتضاه للعالمين، وهذه الخصيصة أعظم خصائصه، مصدره القرآن والسُنّة، وهما وحي الله المحفوظ، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٣ – ٤).

---

(١) انظر: المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد (١٥٧/٤)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١٥٣/٢)، والكليات، للكفوي، تعليق: محمد المصري (٤٢٢).

Scanned with CamScanner

وجانب آخر من ربانية هذا الدين: فكما أن مصدره من عند الله تعالى فكذلك غايتُهُ وهدفُهُ هو تحقيق مرضاة الله ﷻ، والقيام بعبادته؛ فتلك هي الغاية من خلق الجن والإنس، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

- **أهم مظاهر الربانية:**

١ - **بيان الحقائق الكبرى التي لا يستطيع الإنسان معرفتها إلا بالوحي المعصوم:** كمعرفة الخالق، وأسمائه وصفاته وأمره ونهيه، وبداية الخليقة، والغاية من خلق الإنسان.

٢ - **السلامة من النقص والتعارض والهوى:** وموافقة العقل السليم، والعلم الصحيح؛ يقول الله تعالى مبينا عظمة دينه واتفاق تشريعاته: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

٣ - **تحرير الإنسان من عبودية الهوى:** فيعمل وفق شرع الله، وأمره ونهيه، ولا يطلب إلا رضى الله سبحانه، كما في الحديث: (مَن التَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ)[1].

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١)، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الزهد، باب (٦٥)، حديث (٢٤١٤). عن عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في (الصحيحة)، رقم (٢٣١١).

Scanned with CamScanner

يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئاً اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئاً حَرَّمُوهُ)[1].

٤ - **مراعاة الفِطْرَة:** فالإنسان بفطرته يتجه إلى التوحيد الخالص لله سبحانه، ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ. ثمَّ يَقُولُ أَبو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾...الآيَةَ (الروم: ٣٠))[2].

وكذلك فإن الفِطْرَة تتجلَّى في هذا الدين في يُسْرِه وسماحته، وفي مخاطبته لكل جوانب النَّفْس البشرية، بما يلبي حاجات الجسد والروح، ويخاطب العقل والعاطفة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

***

ثانياً: الشمول والكمال

وشمولها في استيعابها كل جوانب الحياة ومجالاتها، **وكمالها** في كونها تامّة وافية، لا نقْصَ فيها ولا عَجْز في حقائقها ومبادئها، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة، حديث (٣٠٩٥)، وحسنه الألباني في (الصحيحة) رقم (٣٢٩٣).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، حديث (١٣٥٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث (٢٦٥٨).

Scanned with CamScanner

- **أهم مظاهر شمول الثقافة الإسلامية:**

١ – **شمول الخطاب للثقلين:** الجِنّ والإنس، وللزمان والمكان كله من بعثة الرسول ﷺ إلى قيام الساعة.

٢ – **شمول النظرة للإنسان:** فلم تنظر للإنسان على أنه جسم فقط، أو عقل فقط، أو روح فقط، بل باعتبار هذا التكوين جميعا، كما شملت إحاطتها للإنسان كل مراحل حياته؛ من يوم كان في بطن أُمِّه جنينا، إلى بعد وفاته؛ بالصلاة عليه وقسمة تركته...إلخ[1].

٣ – **الشمول في تحديد هدف الإنسان ووسيلته إليه:** للإنسان هدف محدد في هذه الحياة، والذي حدده له هو الله سبحانه، ودعاه إلى السير إليه لتحقيقه؛ فالهدف: نَيْلُ رضوان الله سبحانه، ووسيلته: العبادة الخالصة لله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

٤ – **شمول النظر إلى الدنيا والآخرة:** فالدنيا مزرعة الآخرة، قال سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ (القصص: ٧٧).

***

(١) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، د. عمر الأشقر (٧٣).

Scanned with CamScanner

ثالثاً: الوسطية

وهي ميزة ظاهرة في أُمَّتِنا، قال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣) والوسَطُ: فسره رسولُ الله ﷺ بالعدل[1].

يقول ابن جرير[2] رحمه الله: «إنما وصفهم الله تعالى ذكره بأنهم وسط؛ لتوسطهم في الدين»[3].

والوسطية تتأتى من التزام الهدي النبوي، وعدم الحَيْد عنه، سواء في الاعتقادات، أو العبادات، أو المعاملات أو الأخلاق، قال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود: ١١٢). فالقرآن يدعو إلى الوسطية وعدم الميل والانحراف عنها، ومجاوزة الحَدّ، وطريق الوسطية هو التزام الصراط المستقيم.

ويختلف حظُّ الناس من الوسطية بحسب قربهم أو بعدهم عن منهج النبي ﷺ وأصحابه، إذ الوسط هو ما يحدده الشرع، لا العقل أو الحِس؛ فهما وحدهما لا يكفيان لتعيين الوسط.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)، حديث (٤٤٨٧) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد، ويكنَّى بأبي جعفر، وينتسب إلى طبرستان، ولد عام (٢٢٤هـ)، وكان زاهدا ورعا، اشتغل بالتأليف، والتدريس، فهو من كبار المفسرين، توفي في بغداد عام (٣١٠هـ)، ومن أهم مؤلفاته: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. يُنظر في ترجمته: (طبقات المفسرين، للسيوطي (٣٠) وما بعدها).

(٣) جامع البيان (٦/٢).

Scanned with CamScanner

- **أهم مظاهر الوسطية:**

١ – **التوازن في الاعتقاد:** فالمسلمون وسط بين اليهود والنصارى؛ في التوحيد، والأنبياء، والشرائع، والحلال والحرام، والأخلاق، وغير ذلك، وأهل السُنّة والجماعة وسط بين الفِرَق الضالّة كذلك[١].

٢ – **التوازن في العبادات:** فالنصارى عبدوا الله ببدع ابتدعوها، واليهود أعرضوا عن العبادات حتى في يوم السبت الذي أمرهم الله أن يتفرغوا فيه لعبادته، أما المسلمون فقد عبدوا الله وحده بما شرع، لا بالبدع، وفي أمْرِ الحلال والحرام: المسلمون هم الوَسَط بين أهل الكتاب؛ فاليهود في آصار وأغلال عُذِّبوا بها من تحريم للطيبات[٢]، والنّصارى على النقيض استحلُّوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروها[٣].

٣ – **التوازن بين العبادة والعمل:** فللشعائر التعبدية وقتها، وللنشاط العملي مجاله وميدانه، كما في حديث الثلاثة الذين أتوا بيوت أزواج النبي ﷺ[٤]، وأوضح لهم النبي ﷺ هذه الخصيصة.

***

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (٣/٣٧٠).

(٢) انظر: منهاج السُنّة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم (٥/١٧٢).

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن قاسم، وابنه محمد (٣/٣٧٢)، والوسطية، جمع وترتيب وعناية، أبي الفضل عبد السلام بن عبد الكريم (٧٠ – ٧٣).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، حديث (٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكا

Scanned with CamScanner

رابعاً: صلاحها لكل زمان ومكان

فالثقافة الإسلامية ثقافة إنسانية عامة لا تُفرِّق بين إنسان وإنسان، صارفة النظر عن اعتبار اللون والعرق والموطن، كما أنها غير محدودة بمكان ولا زمان، ذلك أن الإسلامَ منبعُها الأساسي، وهو رسالة الله الخاتمة للناس جميعا، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف: ١٥٨).

لذا حارب الإسلامُ العنصريةَ والنعرات الجاهلية، ودعا إلى الوحدة على دين الله وسُنَّة نبيه ﷺ، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقال النبيُّ ﷺ حينما وجدَ بعضَ أصحابِهِ يُظهرُ عصبيةً لقومِهِ: (دَعُوها فإنَّها منتنةٌ)[1].

- **أهم مظاهر صلاحها لكل زمان ومكان:**

١ – ختْمُ الشريعة الإسلامية لما قبلها من الشرائع، فصار الإيمانُ بها، والالتزام بأحكامها، والتسليم لها فرضًا واجبًا على الإنسِ والجنِّ؛ قال الله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

٢ – تحديد مرجعية وحيدة للناس عند الاختلاف والتنازع، وهي الرجوع إلى الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء: ٥٩).

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (المنافقون: ٦)، حديث (٤٩٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: نصر الأخ ظالما أو مظلوما، حديث (٢٥٨٤).عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

٣ – قيام الشريعة على العدل، فالأحكام الشرعية ملزمة لكلِّ من جرتْ عليه أحكام الإسلام، لا يُظلم فيها أحدٌ، أو يُحابى أحدٌ؛ لأجل عِرْقِهِ، أو طبقته الاجتماعية، أو غناه، أو فقره...إلخ، قالَ سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء: ١٠٥).

* * *

خامساً: إمكان تطبيقها

بمعنى أن الثقافة الإسلامية تتعامل مع الحقائق فتراعي طبيعة الإنسان وواقع الحياة.

- **ومن أهم مظاهر ذلك:**

١ – قيام العقيدة الإسلامية على الحقائق واليقينيات، ونبذها الخرافات والأوهام؛ حيث خاطبت العقل، وأبطلت ما عليه الجاهليون من اعتقادات باطلة، من ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩١).

٢ – تناسب التكاليف الشرعية مع طاقة الإنسان وطبيعته وفطرته: وذلك مقرر في قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقول النبي ﷺ: (إنَّ اللهَ تجاوزَ عنْ أمتي ما حدَّثتْ به أنفسَها ما لم تعملْ أو تتكلمْ)[1].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: الطلاق في الإغلاق والكره والسكران...، حديث (٥٢٦٩)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، حديث (١٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

٣ – مراعاة اختلاف الأحوال في التيسير؛ فالله سبحانه يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: ١٦)، وفي حال المرض يقول النبيُّ ﷺ: (صَلِّ قَائِماً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ)[١]، وفي السفر تقصر الصلاة ويباح الفطر للصائم.

٤ – قابلية الأحكام والتشريعات للتطبيق العملي وتحقيق المصلحة للمسلمين ولغيرهم، مع شمولها لكل مجالات الحياة؛ الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية...الخ.

٥ – ترتيب الجزاء على التكاليف الشرعية عند القيام بها أو إهمالها، ثواباً أو عقاباً، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧ – ٨)[٢].

***

سادساً: ثقافة أخلاقية

الثقافة الإسلامية تحوي روحًا أخلاقيةً عاليةً، ترتبط بالعقيدة برباط وثيق في كل عبادة ومعاملة، وتظهر في كل حكم وتوجيه وتنظيم؛ ولهذا فإن الثقافة الإسلامية دستور أخلاق، ومنهاج تربية، لرفع الإنسان الذي كرمه ربه بتكليفه لحمل الرسالة الإيمانية، وأدائها على النحو المراد.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب: تقصير الصلاة، باب: إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب، حديث (١١١٧). عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) انظر: الوجيز في الثقافة الإسلامية، د. همام سعيد (٩٨).

Scanned with CamScanner

يظهر هذا جليا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

وقول النبي ﷺ: (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ)[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: «الدين كله هو الخلق، فمن زاد عليك في الخلق، فقد زاد عليك في الدين»[2].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة، حديث (٨٩٣٩)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان فقد روى له مسلم متابعةً، وهو قوي الحديث، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، حديث (٤١٨٧)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢)

الوحدة الرابعة

الحضارة الإسلامية

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على:

١ – الإسهام في البناء الحضاري لوطنك ولأمتك.

٢ – استحضار منجزات المسلمين في المجالات التطبيقية والنظرية وأثرها في نشأة الحضارة الغربية.

٣ – ذكر أهمٍّ جوانب التأثير الحضاري الإسلامي في حضارة أوربا.

٤ – نشر شهادات مؤرخي الغرب عن أثر الإسلام ودور المسلمين في النهضة الأوربية على شبكات التواصل الاجتماعي.

Scanned with CamScanner

الحضارة الإسلامية

مفهوم الحضارة الإسلامية:

سبق أن قدمنا في بداية الكتاب تعريفا للحضارة بشكل عام، ويمكننا الآن أن نعرِّف الحضارة الإسلامية بأنها: **«ما قدَّمه المجتمع الإسلامي للمجتمع البشري من قيم ومبادئ، في الجوانب الروحية والأخلاقية، فضلا عما قدَّمه من منجزات واكتشافات واختراعات في الجوانب التطبيقية والتنظيمية»**[1].

وسوف نستعرض ذلك من خلال الآتي:

* * *

منجزات الحضارة الإسلامية

لما كانت الحضارة الإسلامية تمتاز عما سواها بكونها حضارة قائمة العقيدة الصحيحة فإن إنجازاتها شملت كافة مجالات الحياة؛ اعتقادياً، وأخلاقياً وقيمياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وسياسياً، وقضائياً، وكذا في النواحي العلمية من الطب، والكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، والجيولوجيا، وعلم الفلك.

وسنذكر باختصار شيئا من هذه المنجزات حسب المجالات التالية:

(١) علوم الحضارة الإسلامية ودورها الإنساني، د. علي عفيفي، مجلة الوعي الإسلامي، عدد (٥٥٨).

Scanned with CamScanner

١ – **الطب:**

اهتم الأطباء المسلمون بهذا العلم اهتماما كبيرا، وقد قال رسول الله ﷺ: (تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً إِلا الْهَرَمَ)[١].

وقد نبغ في هذا العلم كثيرون، ومنهم: الإمام الشافعي (٢٠٤هـ)، وثابت بن قرة (٢٨٨هـ)، والزهراوي (٤٠٤هـ)، وابن النفيس (٦٨٦هـ) رحمهم الله.

فالشافعي رحمه الله يقول مقدراً الطب وعظيم أهميته: «العِلْمُ عِلْمَان: عِلْمُ فقه الأديان، وعِلْمُ طب الأبدان»[٢].

ويوجز رحمه الله مقومات البلد الصالح للعيش والسكنى، فيقول: «إذا دخلت بلدة ولا تجد فيها حاكما عدلا، ولا ماءً جارياً، وطبيباً رفيقاً فلا تسكنها»[٣].

ومما يمثِّل وعي الشافعي الصحي، وتقديره لحفظ الصحة ودوام القوة قوله متأسفاً: «اثنان أغفلهما الناس: الطبُّ، والعربية»[٤].

أما ثابت بن قرة: فقد ذكر له ابنُ أبي أصيبعة ما يربو على ثلاثين كتابا في المسائل الطبية؛ منها: كتاب أصناف الأمراض، وكتاب الحصى المتولد في الكلى والمثانة، ورسالة في الجدري والحصبة، ومقالة في صفة كون الجنين، ومقالة في البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداواتها[٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، حديث (٣٤٣٦)، وابن حبان في صحيحه، كتاب: الطب، ذكر الأمر بالتداوي إذ الله جل وعلا لم يخلق داء إلا خلق له دواء خلا شيئين، حديث (٦٠٦١). قال الهيثمي في الزوائد: «إسناده صحيح، رجاله ثقات». عن أسامة بن شريك رضي الله عنه.

(٢) مناقب الشافعي، للبيهقي (١١٤/٢).

(٣) المصدر السابق (١١٥/٢).

(٤) المصدر السابق (١١٦/٢).

(٥) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة (٢٩٨ – ٢٩٩).

Scanned with CamScanner

والزهراوي: فهو عالم أندلسي شهير؛ وهو أول من وصف بعض العمليات الجراحية، وإليه تعود صناعة آلات الجراحة، وأول من اخترع جهازا لاستئصال اللوزتين.

وابن النفيس: هو مكتشف الدورة الدموية الصغرى.

والتاريخ الإسلامي يحدثنا أن أول مستشفى بُنِيَ في الإسلام في عهد الوليد بن عبد الملك (٩٦هـ) في دمشق، ثم تطور المستشفى لاسِيَّمَا في القرن الثالث الهجري؛ حيث كانت المستشفيات تُبنى في أماكن فسيحة، نقيّة الهواء وافرة الماء، وقريباً من الجوامع الكبيرة، ويعمل بها عدد من الأطباء من مختلف الاختصاصات الطبية، فقد كان فيها مع الأطباء العاديين عدد من الكحالين «أطباء العيون» والجراحين والمجبرين.

كما كان للمستشفيات اعتناء بالمرضى المغلوبين على عقولهم، وذوي الأمراض النفسية، والأمراض الجلدية كالجُذام وغيره، وكان هؤلاء المرضى ينالون رعاية خاصة بدافع من القِيَم الأخلاقية من الرحمة، والشفقة[١].

ومن المستشفيات التي أقيمت ببغداد في خلال هذا القرن الثالث مستشفى السيدة أم الخليفة المقتدر بالله، وخصص للنفقة عليه (٦٠٠) دينار شهريا، وبيمارستان[٢] المقتدري وكانت النفقة عليه (٢٠٠) دينار في الشهر...إلخ[٣].

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الطب العربي، كمال السامرائي (١/٤٢٨ – ٤٣٢)، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٥م.

(٢) البيمارستان: كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل، و(ستان) بمعنى مكان أو دار: والمعنى: دار المرضى. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة (٤٧).

(٣) انظر: تاريخ الحكماء، للقفطي (١٩٤)، تحرير: يوليوس ليبرت. ليبزك: ديتريخ، ١٩٠٣م، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة (٣٠٢)، شرح وتحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠م.

Scanned with CamScanner

٢ – الكيمياء:

ظَلَّ عِلْمُ الكيمياء رهن محاولات فاشلة لم تقم على ملاحظة وتجربة حتى وقت جابر بن حيان؛ الذي جعل التجربة أساس العمل، يقول: «ومَلاكُ كمالِ هذه الصنعة العملُ والتجربة؛ فمن لم يعمل ولم يجرّب لم يظفر بشيء أبدا»[١].

وهو أول من استحضر الحامض الكبريتي، وماء الذهب، واكتشف الصودا الكاوية[٢]، وما زالت كثير من المصطلحات الكيماوية الأوربية تحمل الاسم العربي: كالكحول، والزرنيخ، والقصدير.

وعلماء الإسلام هم الذين اكتشفوا الكثير من الأحماض، والأكاسيد، كزيت الكبريتيك، وأكسيد الزئبق[٣].

٣ – العلوم الرياضية:

وهي تشمل الحساب والجَبْر والهندسة والمثلثات، ولكون عِلْم الرياضيات من العلوم الأساسية التي تدخل في سائر العلوم الأخرى مثل الفيزياء والميكانيكا وغيرها – فقد انكب المسلمون على تعلمه وتطويره، وسنكتفي بالحديث عن علم الحساب.

أ) فقد عرف المسلمون الأرقام الغبارية[٤]، والتي أخذها الغرب عنهم، وتستخدم الآن في أوربا وتسمى **«أرقاماً عربية»**.

---

(١) الخواص الكبير(٧٨) وبنحو هذا في: قصة الحضارة، وول ديورانت (١٨٧).

(٢) أثر العلماء المسلمين، أحمد الملا (١٤٧).

(٣) انظر: العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، دونالد ر. هيل، ترجمة: أحمد فؤاد باشا (١٢٠ – ١٢٦).

(٤) الأرقام الغبارية: هي الأرقام العربية، وسميت بالغبارية لأنها كانت تُكتب في بادئ الأمر بالإصبع أو بقلم من البوص على لوحٍ أو منضدةٍ مغطاة بطبقة رقيقة من التراب. انظر: العلوم عند العرب، أصولها، وملامحها الحضارية، د. حربي عطيتو، ود. حسان حلاق (٣٢٧ – ٣٣٢).

Scanned with CamScanner

ب) أدخل المسلمون مفهوم الصفر في الجبر؛ ما أدّى إلى تسهيل العمليات الحسابية، وكانوا أول من استخدم رقما للصفر وأخذه الغرب عنهم.

ج) يعد كتاب الخوارزمي «الجبر والمقابلة» الكتاب الرئيس الذي درس فيه تحويل المعادلات وحلها، ثم ترجم الكتاب إلى اللاتينية، وعنه عرفت اللوغاريتمات[1]، وكان لمؤلفاته تأثير كبير على الحضارة الغربية[2].

٤ – الجيولوجيا:

قدَّم المسلمون دراسات قيمة في الجيولوجيا وتفسير الظواهر الكونية، مثل: الزلازل والبراكين، والمدِّ والجزر، والجبال والوديان.

أ) فابن تيمية رحمه الله يتحدث عن كروية الأرض ونسبة الماء فيها، فيقول: «اعلم أن الأرض قد اتفقوا على أنها كروية الشكل، وهي في الماء المحيط بأكثرها؛ إذ اليابس السدس وزيادة بقليل...إلخ»[3]، ويتحدث كذلك عن مركز الأرض، ونسبة العالم العلوي والسفلي بالنسبة للخالق سبحانه، ويستدل على ذلك بالكتاب والسُنّة[4].

---

(١) اللوغاريتمات: أرقام يُطلق عليها في علم الجبر اسم الأدلة أو الأُسس، ويستخدم الأُس للتعبير عن تكرار ضرب رقم واحد. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أ. د. أحمد مختار عمر (٢٠٤٨).

(٢) انظر: مبتكر علم الجبر: محمد بن موسى الخوارزمي، للدكتور: علي عبد الله الدفاع، مجلة البحوث الإسلامية (١٨٧/٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥٠/٥).

(٤) السابق (١٥٢/٥).

Scanned with CamScanner

ب) وابن القيم رحمه الله في كتابه الماتع «مفتاح دار السعادة» له كلام نفيس فيما يتعلق بالجيولوجيا، وتفسير التضاريس الأرضية، وعللها، والزلازل، والبراكين وأسبابها[1].

ومما تميز به كلام علماء الإسلام في هذا الشأن هو ربط حركة الكون بالأسباب الشرعية علاوة على الأسباب الكونية، يقول ابن القيم رحمه الله وهو يعرض أسباب الزلازل: «ولما كانت الرياح تجول فيها «الأرض» وتدخل في تجاويفها وتحدث فيها الأبخرة وتخفق الرياح ويتعذر عليها المنفذ، أذِنَ الله سبحانه لها في الأحيان بالتنفس فتحدث فيها الزلازل العظام؛ فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية، والإنابة والإقلاع عن معاصيه، والتضرع إليه والندم»[2].

ج) اهتم البيروني بدراسة التضاريس وأثر العوامل المناخية في التعرية[3].

د) تناول بعض العلماء المسلمين علم الأحافير لمعرفة عمر الأرض، في إشارة للمستحجرات، وهي بقايا عضوية كاملة تكون داخل الحجارة، ويستدل بها على أن هذا المكان كان مُغطًّى بالماء ثم صار يابسة[4].

---

(١) انظر: (١/٢١٨ - ٢٢١).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/٢٢١).

(٣) انظر: تحقيق ما للهند من مقولة، ال...

Scanned with CamScanner

٥ – علم الفلك:

نؤكد أولا على أن الإسلام أبطل علم التنجيم الذي يعتمد على الخرافة؛ فاستطاع المسلمون تحويل هذا العلم إلى علم تجريبي رياضي؛ مستخدمين المراصد لتعليل حركات الأجرام السماوية، وتفسير الظواهر الكونية، فصححوا كثيرا من انحرافات عصر بطليموس[١].

ومن مظاهر دقتهم أنهم قَدَّروا أبعاد النجوم والكواكب، وقالوا باستدارة الأرض وقاسوا محيطها، وحسِبوا طول السَنَة الشمسية، وكتبوا عن الكسوف والخسوف، ووضعوا أسماء كثير من الكواكب لازالت تستعمل إلى اليوم[٢].

وظهرت الكتب الفلكية التي ألفها كبار الفلكيين المسلمين، كأبي الريحان البيروني (٤٤٠هـ)، ومحمد ابن جابر البتاني (٣١٧هـ).

***

أثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية

١- معابر الحضارة الإسلامية إلى الغرب.

في حين كان المسلمون في بلادهم ينعمون بالحضارة القائمة على العقيدة الصحيحة، والأخلاق السامية، والعِلْم والمعرفة كانت البلاد الأوربية تعيش عصورها الوسطى بجهلها وجهالتها، ومن الأندلس وصقلية وغيرهما من بلاد المسلمين انتقلت الحضارة الإسلامية

---

(١) انظر: في تراثنا العربي والإسلامي، د. توفيق الطويل (٢٥).

(٢) انظر: الإسلام والحضارة، الجندي (٥٨)، وانظر: مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، د. محسن عبدالحميد (١٣٠).

Scanned with CamScanner

إلى أوربا، مما كان له أكبر الأثر في إخراجها إلى عصر النهضة المادية، ونبيِّن فيما يأتي أهم تلك المعابر التي منها انتقلت حضارة المسلمين إلى الغرب[1]:

أ) الأندلس:

وتعدُّ المَعْبر الأهمَّ في عملية انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربا، وظلت مُدَّة ثمانية قرون منبر إشعاع حضاري، من خلال جامعاتها، ومدارسها، ومكتباتها، وعلمائها[2]، يقول جوستاف لوبون: «ولم يكد العرب يُتِمُّون فتح إسبانيا حتى بدؤوا يقومون برسالة الحضارة فيها...ثم شَرَعوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب، ويترجمون كتب اليونان واللاتين، وينشئون الجامعات التي ظلت وحدها ملجأ للثقافة في أوربا زمناً طويلا»[3].

ب) صقلية:

وقد فتح المسلمون صقلية سنة (٢١٦هـ) واهتموا فيها بالعمران والتشييد، وإقامة الصناعات الكثيرة، مثل: الورق، والحرير، والسفن، وقد عاش فيها كثير من العلماء الكبار مثل: الإدريسي وغيره.

يقول الأستاذ كويل يونج: «وكانت صقلية ميدانا للتلاقي الحرِّ بين لغات اليونان واللاتين وعرب البربر ومعارفهم، وكانت النتيجة نشوء ثقافة مختلطة، كان لها نصيب كبير في نقل أحسن ما في المدنية الإسلامية إلى أوربا»[4].

---

(١) انظر: أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوربية، أ. د. فتحي علي يونس (٨).

(٢) انظر: دور الحضارة العربية والإسلامية في النهضة الأوربية، هاني المبارك وشوقي خليل (٥١، ٥٢).

(٣) حضارة العرب، جوستاف لوبون (٢٧٣).

(٤) من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي (٢٩٨).

Scanned with CamScanner

ج) الحروب الصليبية:

وقد استمرت الحروب الصليبية قرابة قرنين من الزمان، وتعدُّ هذه الفترة من أهم نقاط الاتصال، والتأثر والنقل والاقتباس[1].

يقول جوستاف لوبون في إشارة للحروب الصليبية: «كان اتصال الغرب بالشرق مدة قرنين من أقوى العوامل على نمو الحضارة الأوربية»[2].

ويقول أيضا: «إن تأثير الشرق في تمدين الغرب كان عظيما جدا بفعل الحروب الصليبية»[3].

٢- أثر الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية.

أ) الجانب الفكري والنظري:

- الإصلاح السياسي: من يطالع تاريخ أوربا الديني الكنسي يتلمس تأثير الإسلام في نزعات كثير من المصلحين هنالك بما عليها من ملاحظات، إلا أنها تأثرت كثيرا بالمبادئ الإسلامية، فصححت مفاهيم مغلوطة، وحررت العقل من الأوهام والخرافات التي كانت تتزعمها الكنيسة آنذاك[4].
- القوانين والنظم: تأثرت تأثراً ظاهراً بأحكام المسلمين الفقهية والتشريعية، والتي نقلها إلى أوربا طلابهم الذين درسوا في مدارس

---

(١) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق يوسف الواعي (٤٥٢).

(٢) حضارة العرب، جوستاف لوبون (٣٣٤).

(٣) السابق (٣٣٩).

(٤) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي (١٠٦).

Scanned with CamScanner

الأندلس، وقد أكّد ذلك مجموعة من مُنصفي العلماء الغربيين حيث بيّنوا أنَّ أوربا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية[1]

- **علم الاجتماع وفلسفة التاريخ:** فقد كان **لابن خلدون** النصيب الأوفر فيهما، حيث عرض في **مقدمته** الشهيرة تأملاته في التاريخ، وربطَ بين الحوادث، وحاول اكتشاف قوانين التاريخ، وتحدث بعمق عن الحضارة والنظم الاجتماعية، وقد كان له السبق على علماء الاجتماع الغربيين في تناول المجتمع والتفسير العقلي لتطوره[2].
- **اللغة والأدب:** تأثر الغربيون وخاصة الأسبان بالأدب العربي تأثرا كبيرا، فدخلت فنون أدبية لم تكن تعرفها أشعارهم ولا آدابهم، مثل: الفروسية، والحماسة، وكذلك فنون المجاز والتخييلات الراقية؛ وقد كان لكتاب ابن حزم رحمه الله **«طوق الحمامة»** أثر بالغ على شعراء إسبانيا وجنوب فرنسا.

ولشدة تأثر الأوربيين بالأدب العربي صار بعضهم يَنْظِمُ قصائد عربية، وكذا تأثرت القصة الأوربية بما كان لدى العرب من فنون القصص: كالمقامات، ومغامرات الفرسان[3].

ب) الجانب العملي التطبيقي:

- **الترجمة:**

فقد كان من أبلغ مظاهر التأثير في الحضارة الأوربية ما حدث من ترجمة لكتب العلوم المختلفة التي أنتجتها العقلية الإسلامية،

---

(١) يُنظر كتاب ملامح تاريخ الإنسانية للمؤرّخ الإنجليزي هربرت جورج ويلز.

(٢) انظر: دور المسلمين في بناء المدنية الغربية، حيد بامات (٨٦، ٨٧).

(٣) انظر: نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العر...

Scanned with CamScanner

وجعْلها مصادر أساسية طيلة قرون عدة في الجامعات الغربية، مثل: كتاب «الحاوي»، وكتاب «المنصوري» للرازي، وكتاب الخازني «ميزان الحكمة»[1].

- **الصناعة:**

فهناك صناعة الورق التي كان للمسلمين الفضل في نشرها على مستوى العالم وقتذاك؛ حيث ظهرت مصانع الورق في بغداد في عهد الرشيد، وكذا في دمشق وطرابلس، ثم انتقلت إلى صقلية والأندلس فتعرف عليها الغرب؛ إذ كانت اختصاصاً عربياً حققه العرب أنفسهم؛ فصارت هذه الصناعة دعامة أساسية للثقافة والحضارة، ومن خلالها أصبح العلم مشاعاً للجميع، ودعوة لكل العقول لأن تعمل وتفكر[2].

كما عرف الأوربيون الإبرة المغناطيسية عن طريق العرب المسلمين، وبهذا تقول زيغريد هونكه أيضا، بعد أن عَزَى بعض الأوربيين اختراعها إلى العالم الإيطالي فلافيو جيويا[3].

- **شهادات المنصفين من علماء الغرب عن أثر الحضارة الإسلامية.**

ونختم هذا التطواف المختصر حول الحضارة الإسلامية وتأثيرها على الغرب وحضارته بذكر شهادات لبعض المنصفين من علماء الغرب

) انظر: مجلة بريد اليونسكو، عدد أكتوبر، ١٩٨٠م.

) انظر: شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه (٤٦).

) المصدر السابق (٤٧).

Scanned with CamScanner

حول فضل العرب والمسلمين على أوربا والغرب عامة في فروع الثقافة والحضارة:

١ – تقول المستشرقة زيغريد هونكه: «إنّ سيلا عرماً من نتاج الفكر العربي، ومواد الحقيقة والعلم وقد نقحته أيد عربية، ونظمته، وعرضته بشكل مثالي – قد اكتسح أوربا... وفي مراكز العلم الأوربية لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء، إلا ومدَّ يديه إلى الكنوز العربيّة هذه؛ ليغترف منها ما شاء الله له أن يغرف، وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذب؛ رغبة منه في سد الثغرات التي لديه، وفي الارتقاء إلى مستوى عصره العلمي، ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوربا آنذاك إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربية، وأخذ عنها إيماءاته، وظهر فيه تأثيرها واضحا كل الوضوح، ليس فقط في كلماته العربية المترجمة، بل في محتواه وأفكاره»[1].

٢ – ومن الشهادات المنصفة شهادة الكاتب الفرنسي «موريس بوكاي» – وكان قد أسلم – يقول: «ونحن نعلم أن الإسلام ينظر إلى العلم والدين كتوءمين، وأن تهذيب العلم كان جزءا من التوجيهات الدينية منذ البداية، وأن تطبيق هذه القاعدة

(١) شمس العرب تسطع على الغرب (٣٠٥، ٣٠٦).

Scanned with CamScanner

أدى إلى التقدم العلمي العجيب في عصر الحضارة الإسلامية العظمى، التي استفاد منها الغرب قبل نهضته»[1].

٣- يقول المؤرخ الفرنسي «غوستاف لوبون»: «إن الشرقيين - يعني المسلمين - هم الذين أخرجوا الغرب من ظلمات التوحش إلى نور الحضارة، وإنه انبثق من خلال ما كانت تستعين به جامعات أوربا من علوم العرب وآدابهم عصر النهضة الحديث»[2].

Scanned with CamScanner

الوحدة الخامسة

«أصول الإيمان الستة»

الإيمان بالله تعالى

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على :

١ – بيان أصول الإيمان إجمالا.

٢ – كتابة مقالة عن أدلة الربوبية ونشرها على شبكات التواصل الاجتماعي.

٣ – إبراز أهمية توحيد الألوهية.

٤ – فهم منهج أهل السُنّة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته.

Scanned with CamScanner

مقدمة

الإيمان في اللغة: التصديق.

وعند أهل السُنّة والجماعة: اعتقادٌ بالجنان، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[1].

فاعتقاد الجنان: معناه تصديق القلب ويقينه واعترافه وإقراره، **وقول اللسان:** أي النطق بالشهادتين والإقرار بلوازمهما، كتلاوة القرآن والأذكار، **وعمل الأركان:** أي بالجوارح، كالركوع والسجود، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدى بالجوارح ابتغاء مرضاة الله.

والعقيدة الإسلامية تقوم على أركان الإيمان الستة، وقد بَيَّن الله تعالى هذه الأصول الستة في قوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩).

وجمعها النبي ﷺ في إجابته على سؤال جبريل عليه السلام عندما سأله: ما الإيمان؟ فقال ﷺ: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)[2].

وقبل أن نستعرض بيان الركن الأول من أركان الإيمان الستة يجدر بنا أن نعرِّج على تعريف العقيدة، ومنهج أهل السُنّة والجماعة في تلقيها والاستدلال عليها.

---

(١) انظر: شرح السنة، للبغوي (١/ ٣٨ – ٣٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث (٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، حديث (٩) واللفظ له. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

١- تعريف العقيدة:

العقيدة لغة: مصدرها من «العقد» وهو الشدُّ والربط بقوة وإحكام[١].

واصطلاحاً: «هي الإيمان الجازم بالله تعالى، وما يجب له في ألوهيته، وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكلِّ ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره»[٢].

٢- **منهج أهل السُنّة والجماعة في تلقي العقيدة:**

أ) الاقتصار في منهج التلقي على الوحي.

ب) التسليم لما جاء به الوحي، مع التدبر العقلي في آيات الله، وفَهْمِ النصوص، ومعرفة محاسن الشريعة.

ج) ترك الابتداع.

٣- **منهج أهل السُنّة والجماعة في الاستدلال على العقيدة**[٣]:

أ) حجية السُنّة (متواترة وآحاد) على العقيدة.

ب) الالتزام بالكتاب والسُنّة لفظاً ومعنى.

ج) صحة فَهْمِ النصوص، بالاعتماد على فَهْمِ الصحابة، ومعرفة اللغة العربية، وجمع النصوص الواردة في المسألة الواحدة، ومعرفة مقاصد التشريع الإسلامي.

***

---

(١) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مادة (ع ق د).

(٢) [illegible] (١١ – ١٢).

Scanned with CamScanner

(١) الإيمان بالله تعالى[١]

«والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دلَّ على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحِسّ.

١ - **أما دلالة الفطرة على وجوده:** فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها، قال النبي ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ)[٢].

٢ - **وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى:** فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابدَّ لها من خالق أوجدها؛ إذ لا يمكن أن تُوجد نفسَها بنفسِها، ولا يمكن أن توجَدَ صدفة.

- لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقا؟!

- ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لابدَّ له من مُحْدِث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعاً باتاً

---

(١) شرح أصول الإيمان، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٥ - ٢٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟، حديث (١٣٥٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث (٢٦٥٨).

Scanned with CamScanner

أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسَها بنفسِها ولا أنْ توجد صُدْفَة، تَعيَّن أن يكون لها مُوجِد وهو الله ربُّ العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (الطور: ٣٥).

يعني أنهم لم يُخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتَعيَّنَ أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبيرُ بن مطعم رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ (الطور: ٣٥ – ٣٧) وكان جبيرٌ يومئذ مشركاً قال: (كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي)[1].

ولنضرب مثلا يوضح ذلك، فإنه لو حدثَّك شخص عن قصر مشيد، أحاطتْ به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومُلئ بالفرش والأسرَّة، وزُين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وُجد هكذا صدفة بدون موجِد، لبادرتَ إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددتَ حديثه سفها من القول!!

Scanned with CamScanner

أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه أو وُجِد صدفة بدون موجد؟!

٣ – **وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى:** فلأن الكتب السماوية كلّها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق، دليل على أنها من ربٍّ حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤ – **وأما أدلة الحس على وجود الله تعالى فمن وجهين:**

(أحدهما) أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوْث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ (الأنبياء: ٧٦)، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال: ٩).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أَصَابَتْ النَّاسَ سَنَةٌ[1] عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا أَنْ يَسْقِيَنَا. قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ وَمَا

(١) السَّنَةُ: الجدْب، يقال أخذتهم السَّنَةُ إذا أجدبوا وأقحطوا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٣١٤).

Scanned with CamScanner

فِي السَّمَاءِ قَزَعَةٌ[1]، قَالَ: فَثَارَ سَحَابٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ، قَالَ: فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَفِي الْغَدِ وَمِنْ بَعْدِ الْغَدِ وَالَّذِي يَلِيهِ إِلَى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، فَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ رَجُلٌ غَيْرُهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ، وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا. قَالَ: فَمَا جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ السَّمَاءِ إِلَّا تَفَرَّجَتْ)[2].

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صَدَق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

(الوجه الثاني) أن آيات الأنبياء التي تسمى «المعجزات» ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مُرْسِلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم.

مثال ذلك: آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقا يابسا، والماء بينهما كالجبال، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الشعراء: ٦٣).

---

(١) القَزَعَةُ: أي قطعة من الغيم، وجمعها: قَزَع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٥٩/٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاستسقاء، باب: من تمطّر في المطر حتى يتحادر على لحيته، حديث (١٠٣٣)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء، حديث (٨٩٧).

Scanned with CamScanner

ومثال ثان: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى عنه: ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٤٩). وقال: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴾ (المائدة: ١١٠).

ومثال ثالث: لمحمدٍ ﷺ حين طلبتْ منه قريش آيةً، فأراهم النبي ﷺ انشقاق القمر، وقال: اشهدوا[1]. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (القمر: ١ – ٢).

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته:

«أي: بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين».

والربُّ: مَنْ له الخلق والملك والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا له، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (الأعراف: ٥٤). وقال: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ (فاطر: ١٣).

ولم يُعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد لما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (النازعات: ٢٤). وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ (القصص: ٣٨)، لكن

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن الكريم، باب: تفسير: وانشق القمر، حديث (٤٥٣٨)، وصحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: انشقاق القمر، حديث (٢٨٠١).

Scanned with CamScanner

ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾ (النمل: ١٤)، وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ (الإسراء: ١٠٢).

ولهذا كان المشركون يُقرُّون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨٤ – ٨٩)، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف: ٩)، وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (الزخرف: ٨٧).

وأَمْرُ الربِّ سبحانه شاملٌ للأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مدبِّرُ الكون، القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مُشرعاً في العبادات أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

الثالث: الإيمان بألوهيته:

«أي: بأنه وحده الإله الحق لا شريك له»

و«الإله» بمعنى «المألوه» أي «المعبود» حبّاً وتعظيماً. وقال الله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ١٦٣)، وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران: ١٨).

Scanned with CamScanner

وكلُّ ما اتُخذ إلها مع الله يعبدُ من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (الحج: ٦٢)، وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في اللات والعزى ومناة: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ (النجم: ٢٣)، وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ (يوسف: ٣٩ – ٤٠)، ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (الأعراف: ٥٩).

ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم مع الله ﷻ، ويستنصرون بهم، ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

(الأول) أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق ولا تجلب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة، ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السموات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٣)، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ

Scanned with CamScanner

أَذِنَ لَهُۥ ۚ﴾ (سبأ: ٢٢ – ٢٣)، وقال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝٣١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٩١ – ١٩٢).

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أَسْفَه السَّفه، وأبطل الباطل.

(والثاني) أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الربُّ الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١ – ٢٢)، وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (الزخرف: ٨٧)، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (يونس: ٣١ – ٣٢).

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:

«أي: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل».

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ

Scanned with CamScanner

وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم: ٢٧)، وقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الشورى: ١١).

وقد ضلّ في هذا الأمر طائفتان:

(إحداهما): المعطلة الذين أنكروا الأسماء، والصفات، أو بعضها زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه، أي تشبيه الله تعالى بخلقه، **وهذا الزعم باطل لوجوه منها:**

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء، والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله وتكذيب بعضِه بعضاً.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين؛ فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلاً منهما: إنسانٌ سميع بصير متكلم، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية والسمع، والبصر، والكلام، وترى الحيوانات لها أيدٍ، وأرجل، وأعين، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها وأرجلها وأعينها متماثلة.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.

(الطائفة الثانية): المُشَبِّهة الذين أثبتوا الأسماء، والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون، **وهذا الزعم باطل لوجوه منها:**

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يُبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسُنّة أمراً باطلا.

Scanned with CamScanner

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكُنْهُ الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى (وهو إدراك الأصوات)، لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات، فالتباين فيها بين الخالق، والمخلوق، أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليه غير معلومة بالنسبة إلى استواء الله على عرشه، لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل[1] بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق، فالتباين فيها بين الخالق، والمخلوق أبين وأعظم.

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره؛ رجاءً، ولا خوفًا، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه».

---

(١) الرَّحْلُ: ما يُوضع على ظهر البعير فيُقْعد عليه. انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (رحل).

Scanned with CamScanner

الوحدة السادسة

الإيمان بالملائكة والكتب والرسل عليهم السلام

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على :

١ – تذكُّر تعريف الملائكة ، وطاعتهم لربهم والانقياد له سبحانه.

٢ – فهم ما يتضمنه الإيمان بالملائكة ، مع معرفة الأدلة من الكتاب والسُنّة.

٣ – إدراك ما يتضمنه الإيمان بالكتب.

٤ – إبراز أهمية الإيمان برسل الله وأنبيائه وعدم التفريق بين أحد منهم.

Scanned with CamScanner

(٢) الإيمان بالملائكة[١]

الملائكة: «عالم غيبي مخلوقون عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه».

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ١٩ – ٢٠).

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة المعراج أن النبي ﷺ رُفِعَ له البيت المعمور في السماء يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم[٢].

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن عَلِمْنَا اسمه منهم باسمه (كجبريل عليه السلام) ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالا.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة (جبريل عليه السلام) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق.

---

(١) شرح أصول الإيمان، فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٢٧ – ٣٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث (٣٠٣٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث (١٦٤). **ومعنى آخر ما عليهم:** برفع (آخر) وفتحها: أنه آخر دخولهم إياه. انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض (١/٢١).

Scanned with CamScanner

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل لجبريل عليه السلام حين أرسله تعالى إلى مريم فتمثل لها بشرا سويا، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي ﷺ فانطلق. ثم قال ﷺ: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم[1].

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام ولوط عليه السلام كانوا على صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلا ونهارا بدون ملل ولا فتور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة مثل: جبريل عليه السلام الأمين على وحي الله تعالى يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل، **ومثل:** ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات، **ومثل:** إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق، **ومثل:** ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت، **ومثل:** مالك الموكل بالنار وهو خازن النار، **ومثل:** الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه مَلَكاً وأمره بكتب رزقه، وأجلِه، وعمله، وشقي أو سعيد، **ومثل:**

---

(١) الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ﷻ، حديث (٩). عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص، ملكان: أحدهما عن اليمين والثاني عن الشمال، **ومثل:** الملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه.

الإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العِلْمُ بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكَّل مِنْ هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

وقد أنكر قوم من الفلاسفة كون الملائكة أجساما: وقالوا: إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ (فاطر: ١)، وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ (الأنفال: ٥٠)، وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴾ (الأنعام: ٩٣)، وقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (سبأ: ٢٣)، وقال في أهل الجنة: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد: ٢٣ – ٢٤).

Scanned with CamScanner

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ)[1].

وعنه ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ فَإِذَا جَلَسَ الإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ وَجَاؤُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)[2].

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

***

(٣) الإيمان بالكتب

الكُتُب: جمع «كِتَاب» بمعنى «مكتوب». والمراد بها هنا: «الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة».

الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً، وأن الله تكلَّم بها حقيقةً كما شاء[3].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث (٣٢٠٩)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، حديث (٢٦٣٧).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، حديث (٣٢١١)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجمعة، باب: الطيب والسواك يوم الجمعة، حديث (٨٥٠).

(٣) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم التوحيد في الأصول، تأليف الشيخ العلامة: حافظ بن أحمد الحكمي، حققه وعلَّق عليه: محمد صبحي حلاق (٨٢٦-٨٢٧).

Scanned with CamScanner

الثاني: **الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ**، والتوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام، **والإنجيل** الذي أنزل على عيسى عليه السلام **والزَّبور الذي أُوتيه داود** عليه السلام، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالا.

الثالث: **تصديق ما صح من أخبارها**؛ كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: **العمل بأحكام ما لم ينسخ منها**، والرضا والتسليم به، سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: ٤٨) أي (حاكما عليه)، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن والسنة.

الإيمان بالكتب له ثمرات منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتابا يهديهم به.

الثاني: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة: ٤٨).

الثالثة: شُكْر نعمة الله في ذلك.

* * *

Scanned with CamScanner

(٤) الإيمان بالرسل

الرسل: جمع رسول، بمعنى مرسَل، أي مبعوث بإبلاغ شيء. والمراد هنا: «من أوحي إليه من البشر بشرع وأُمِرَ بتبليغه». وأول الرسل نوح وآخرهم محمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ (النساء: ١٦٣).

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة (أن النبي ﷺ ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم، ويقول: ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله، وذكر تمام الحديث)[1].

وقال الله تعالى في محمد ﷺ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

ولم تَخْلُ أُمَّة من رسول يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحي إليه بشريعة مَنْ قَبْلَهُ ليجددها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ (النحل: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ (فاطر: ٢٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ (المائدة: ٤٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب: قول الله: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: ٣١)، حديث (٤٤٧٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: باب أدني أهل الجنة منزلةً فيها، حديث (١٩٣).

Scanned with CamScanner

والرسل: «بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء».

قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد الرسل وأعظمهم جاها عند الله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٨). وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ (الجن: ٢١ – ٢٢).

وتلحقهم خصائص البشرية من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالى عن – إبراهيم ﷺ – في وصفه لربه تعالى: ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ (الشعراء: ٧٩ – ٨١)، وقال النبي ﷺ: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي)[1].

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثناء عليهم فقال تعالى في نوح ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ (الإسراء: ٣)، وقال في محمد ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١)، وقال في إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب – صلى الله عليهم وسلم –: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ (ص: ٤٥ – ٤٧)، وقال في عيسى بن مريم ﷺ: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ (الزخرف: ٥٩).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة، حديث (٤٠١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له، حديث (٥٧٢). عن ابن مسعود رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

والإيمان بالرسل يتضمن خمسة أمور:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمَنْ كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الشعراء: ١٠٥). فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذَّبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذَّبوا محمدا ﷺ ولم يتبعوه هم مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضاً، لاسيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ينقذهم الله به من الضلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه: مثل: محمد وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في سورة الأحزاب، في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ (الأحزاب: ٧). وفي سورة الشورى في قوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣).

وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالا قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ (غافر: ٧٨).

الثالث: تصديق ما صَحّ عنهم من أخبار.

Scanned with CamScanner

الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم: وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥).

خامسا: الإيمان بأنهم بلّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفًا ولم يغيِّروه، ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفًا ولم ينقصوه[1].

***

دلائل نبوة محمد ﷺ

أيَّدَ الله تبارك وتعالى رسوله محمدًا ﷺ بالدلائل والمعجزات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان به، وصدق رسالته، وهذه الدلائل والمعجزات فاقت الألف معجزة[2].

ومن تلك الدلائل ما استمر بعد وفاته ﷺ كالقرآن الكريم، وما أخبر به من المغيبات، ومن بعض هذه المعجزات:

١- **القرآن الكريم:** فقد تضمن هذا القرآن وجوهًا متعددة من الإعجاز؛ فالقرآن الكريم معجز بِلُغَتِهِ وفصاحته وبيانه وبلاغته وأحكامه وتشريعاته وبما حواه من أخبار وقصص، ومغيبات، وعلوم.

وقد تحدَّى الله قوم النبي ﷺ أن يأتوا بمثله أو بشيء منه.

---

(١) معارج القبول، الشيخ: حافظ حكمي، (٨٣١).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٤٠).

Scanned with CamScanner

٢ – انشقاق القمر: قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (القمر: ١ – ٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أخبر ﷺ باقتراب الساعة وانشقاق القمر، وانشقاق القمر قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الأخبار، وكان النبي ﷺ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار مثل الجُمع والأعياد؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار، وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره»[(١)].

٣ – **نبع الماء بين أصابعه:** قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «..... آيات نبينا ﷺ مثل تكثير الماء، كان بوضع يده فيه، حتى نبع الماء من بين الأصابع؛ أي تفجّر الماء من بين الأصابع، لم يخرج من نفس الأصابع، وكذلك البئر كان ماؤها يكثر إما بإلقائه سهمًا من كنانته فيها، وإما بصبِّهِ الماء الذي بصق فيه»[(٢)].

٤ – **ما أطلع عليه من الغيوب وما سيكون في المستقبل:** «والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غُمره... وهي من جملة معجزاته المعلومة على القطع»[(٣)].

ومنها ما ورد في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك شيئًا يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه،

---

(١) المرجع السابق (١/٤١٤).

(٢) المرجع السابق (٧/٤٩).

(٣) الشفا بتعريف حق المصطفى، للقاضي عياض اليحصبي (١/٢٠٠).

Scanned with CamScanner

ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه»[1].

وللإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بعباده؛ حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله، لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شُكْره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده.

وقد كَذَّب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر! وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم وأبطله بقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً﴾ (الإسراء: ٩٤ – ٩٥).

فأبطل الله تعالى هذا الزعم ببيان أنه لابد أن يكون الرسول بشرا؛ لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزل الله عليهم من السماء

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: القدر، باب: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨)، حديث (٦٦٠٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب: إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، حديث (٢٨٩١).

Scanned with CamScanner

مَلَكاً رسولا، ليكون مثلهم، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ (إبراهيم: ١٠ – ١١)».

الوحدة السابعة

الإيمان باليوم الآخر

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على:

١ – معرفة ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر مع الاستدلال من الكتاب والسُنّة.

٢ – تذكر جزاء العمل في الآخرة.

٣ – المشاركة في كتابة مقالة عن أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى.

Scanned with CamScanner

(٥) الإيمان باليوم الآخر[١]

اليوم الآخر: «هو يوم القيامة الذي يُبعث الناس فيه للحساب والجزاء، وسُمِيَ بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم».

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غُرْلاً غير مختتنين، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

والبعث: حقٌّ ثابت دلَّ عليه الكتاب والسُّنّة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٥ – ١٦)، وقال النبي ﷺ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً)[٢].

وأجمع المسلمون على ثبوته؛ وهو مقتضَى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألْسِنَة رُسله، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥)، وقال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ﴾ (القصص: ٨٥).

---

(١) ينظر: شرح أصول الإيمان، الشيخ محمد العثيمين (٤٤ – ٥٢)

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: كيف الحشر، حديث (٦٥٢٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الجنة، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، حديث (٢٨٥٩) واللفظ له. عن عائشة رضي الله عنها.

Scanned with CamScanner

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دلَّ على ذلك الكتاب، والسُنّة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ (الغاشية ٢٥ – ٢٦)، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٠)، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ[1] وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟، فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)[2].

وصَحّ عن النبي ﷺ أنه قال: (...فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ

---

(١) أي: يحفظه ويستره لئلا يُفتضح أمره. انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري (٤٩١/٩).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المظالم، باب: قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (هود: ١٨)، حديث (٢٤٤١)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث (٢٧٦٨)

Scanned with CamScanner

حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)[1].

وقد أجمع المسلمون على **إثبات الحساب** والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة؛ فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له، فلو لم يكن حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي يُنزَّهُ الربُّ الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ (الأعراف: ٦ – ٧).

الثالث: الإيمان بالجنة والنار: وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة: «دار النعيم التي أعدها الله للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله، فيها من أنواع النعيم مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: من همَّ بحسنة أو بسيئة، حديث (٦٤٩١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إذا همَّ العبد بحسنة كتبتْ، وإذا همَّ بسيئة لم

Scanned with CamScanner

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ (البينة: ٧ – ٨). وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٧).

وأما النار: «فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنكال، مالا يخطر على البال».

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٣١). وقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٢٩). وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ (الأحزاب: ٦٤ – ٦٦)».

الرد على منكري البعث:

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن، وهذا الزعم باطل دَلَّ على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.

أما من الشرع: فقد قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (التغابن: ٧)، وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

Scanned with CamScanner

وأما الحِسُّ: فقد أرى الله عبادَه إحياء الموتى في هذه الدنيا، **ومن ذلك:**

١- قوم موسى حين قالوا له: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (البقرة: ٥٥)، فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم، وفى ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٥ – ٥٦).

٢- قِصّة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٢ – ٧٣).

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى فاطر السموات والأرض وما فيهما خالقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ (الروم: ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

الثاني: أن الأرض تكون مَيتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الأموات. قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ

Scanned with CamScanner

أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (فصلت: ٣٩).

* * *

ما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر

«ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما يكون بعد الموت، وهما شيئان:

١- فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، ويضل الله الظالمين فيقول الكافر: هاه هاه لا أدري. ويقول المنافق أو المرتاب لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

٢- عذاب القبر ونعيمه:

فأما عذاب القبر: فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين والعصاة؛ لثبوت النصوص بتعذيبهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام: ٩٣). وقال تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦).

وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (فَلَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِى أَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّذُوا

Scanned with CamScanner

بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ)[1].

وأما نعيم القبر: فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠). وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ (الواقعة: ٨٣ – ٩١).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: (فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ)[2].

وقد ضَلَّ قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، حديث (٢٨٦٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، مسند: البراء بن عازب، حديث (١٨٥٣٤) واللفظ له، وأبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: المسألة في القبر وعذاب القبر، حديث (٤٧٥٣). قال محققو المسند: إسناده صحيح،

Scanned with CamScanner

وهذا الزعم باطل بالشرع والحس والعقل:

أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ)[1].

وأما الحِسُّ: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحيانا مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه. والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالى وفاة، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ (الزمر: ٤٢).

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي ﷺ على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً، ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإذا كان هذا ممكنا في أحوال الدنيا، أفلا يكون ممكنا في أحوال الآخرة؟

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الوضوء، باب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله، حديث (٢١٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول، ووجوب الاستبراء منه، حديث (٢٩٢).

Scanned with CamScanner

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كُشف عن الميت في قبره لوُجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المُعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشُّبهات، وقد قيل:

وكم من عائب قولا صحيحاً ❖ وآفته من الفهم السقيم

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحِسُّ، ولو كانت تُدْرَكُ بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه، إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه، هو في حجرته وبين فراشه وغطائه، ولقد كان النبي ﷺ يوحَى إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة، وربما يتمثَّل له الملك رجلا فيكلمه، والصحابة لا يرون الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكَّنهم الله تعالى من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسماوات السبع والأرض ومن فيهن وكل شيء يُسبِّح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يُسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً. ومع ذلك هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ

Scanned with CamScanner

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ (الإسراء: ٤٤). وهكذا الشياطين، والجن. يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً، وقد حضرت الجِنُّ إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين.

ومع هذا فهم محجوبون عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧).

وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه»[1].

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها، رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية والرضى بها؛ خوفا من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا، بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

***

(١) شرح أصول الإيمان، الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٤٤ – ٥٢)

Scanned with CamScanner

أشراط الساعة

الأشراط: جمع شَرَط، والشرَطُ: العلامة[1].

والساعة: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، فهي ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم، فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها الله ساعة[2].

وأشراط الساعة: ما يتقدمها من العلامات الدالة على قرب حينها[3].

ومن أشراط الساعة:

١ – **خروج الدجال:** وهو رجل مموَّهٌ يخرج في آخر الزمان يدَّعي الربوبية، وخروجه ثابت بالسُنّة والإجماع، قال النبي ﷺ: (قُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ)[4]، وأجمع المسلمون على خروجه[5].

وقد شرع رسول الله ﷺ لأمته التعوُّذَ من فتنة المسيح الدجال عند الفراغ من التشهد الأخير من كلِّ صلاة؛ لأن هذه الفتنةَ فتنةٌ كبيرةٌ وعظيمةٌ.

٢ – **نزول عيسى ابن مريم:** نزول عيسى ابن مريم ثابت بالكتاب والسُنّة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (شرط).

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٢/٤٢٢)، والصحاح، للجوهري (٣/١٣٦).

(٣) انظر: البعث والنشور، للبيهقي (٦٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: التعوذ من عذاب القبر، حديث (١٣٧٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة، حديث (٥٩٠). عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، د. صالح بن فوزان الفوزان (١٧٤).

Scanned with CamScanner

(النساء: ١٥٩) أي: موت عيسى وهذا حين نزوله كما فسَّره أبو هريرة ﷺ بذلك، وقال النبي ﷺ: (وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَادِلاً)[١]، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: «تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عادلا وحكمًا مقسطًا»[٢].

٣ - **يأجوج ومأجوج:** وهما أُمَّتان من بني آدم موجودتان بدليل الكتاب والسُّنة، قال الله تعالى في قصة ذي القرنين: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (الكهف: ٩٣ - ٩٤)...الآيات.

وقال النبي ﷺ: (يَقُولُ اللهُ: يَا آدَمُ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ قَالَ يَقُولُ أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ) إلى أن قال رسول الله ﷺ: (أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ وَمِنْكُمْ رَجُلٌ)[٣].

وقد ثبت خروجهم في القرآن في قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ (الأنبياء: ٩٦ - ٩٧).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام حديث (٣٤٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، حديث (١٥٥). واللفظ له. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢٢٣/٧).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: قوله عز وجل: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ١)، حديث (٦٥٣٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: قوله: يقول الله لآدم أخرج بعث النار، حديث (٢٢٢). عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

Scanned with CamScanner

٤ – **خروج الدَّابّة:** وهي الدابّة التي يُخْرجها الله قرب قيام الساعة، وخروجها ثابت بالقرآن والسُنّة، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (النمل: ٨٢). وقال النبي ﷺ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ)[1].

٥ – **طلوع الشمس من مغربها:** طلوع الشمس من مغربها ثابت بالكتاب والسُنّة، قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾ (الأنعام: ١٥٨).

والمراد بذلك طلوع الشمس من مغربها.

وقال النبي ﷺ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ، آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَلِكَ حِينَ ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ﴾ (الأنعام: ١٥٨))[2][3].

٦ – المهدي.

٧ – الدخان.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، حديث (٢٩٠١). عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير من سورة الأنعام، باب: ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، حديث (٤٦٣٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، حديث (١٥٧). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لمعة الاعتقاد للمقدسي، بشرح الشيخ محمد العثيمين (١٠٥ – ١١٠)

Scanned with CamScanner

٨ – ثلاثة خسوف ؛ خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

٩ – نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

Scanned with CamScanner

الوحدة الثامنة

الإيمان بالقدر

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على :

١ – معرفة مراتب الإيمان بالقَدَر وأدلتها.

٢ – الاستدلال على من يحتجُّ بالقدر على ترك المأمورات أو فعل المنهيات.

٣ – الاطلاع على شُبهات الفِرَق المخالفة لأهل السُنّة والجماعة في مسائل القَدَر، ودحضها بأدلة الكتاب والسُنّة والعقل.

٤ – إدراك أثر الإيمان بالقَدَر في حياة الفرد والمجتمع.

Scanned with CamScanner

(٦) الإيمان بالقَدَرِ[١]

القَدَر: بفتح الدال: «تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته».

والإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلا، أزلا وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: ٧٠).

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)[٢].

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله، أم مما يتعلق بفعل المخلوقين. قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ﴾ (القصص: ٦٨). وقال: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ (آل عمران: ٦)، وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ

---

(١) ينظر: شرح أصول الإيمان، الشيخ محمد بن صالح العثيمين (٥٣ – ٥٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث (٢٦٥٣).

Scanned with CamScanner

عَلَيْكُمْ فَلَقَتَلُوكُمْ ﴾ (النساء: ٩٠)، وقال: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (الأنعام: ١١٢).

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات قد خلقها الله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (الزمر: ٦٢)، وقال: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان: ٢). وقال عن نبي الله إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (الصافات: ٩٦).

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية وقدرته عليها، لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾ (النبأ: ٣٩)، وقال: ﴿ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، وقال في القدرة: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ ﴾ (التغابن: ١٦)، وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقُدْرَة بهما يفعل وبهما يترك، ويُفرِّق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكن مشيئة العبد وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى وقدرته، لقول الله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (التكوير: ٢٨ – ٢٩)؛ ولأن الكون كله مُلْكٌ لله تعالى فلا يكون في مُلْكِه شيء بدون علمه ومشيئته.

Scanned with CamScanner

والإيمان بالقدر على ما وصفنا لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات أو فَعَلَ من المعاصي، وعلى هذا فاحتجاجُهُ به على ترك واجبٍ أو فعْل محرمٍ باطلٌ من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٨)، ولو كان لهم حُجَّة بالقَدَر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٦٥)، ولو كان القَدَر حُجَّة للمخالفين لم تنتفِ بإرسال الرُّسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَلاَ نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لاَ، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ (الليل: ٥))[1]، فأمر النبي ﷺ بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: القدر، باب: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨)، حديث (٦٦٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، حديث (٢٦٤٧).

Scanned with CamScanner

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يُكلّفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (التغابن: ١٦)، وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ولو كان العبد مُجْبَراً على الفعل لكان مُكلّفا بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: أنَّ قَدَر الله تعالى سرٌّ مكتوم لا يُعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله؛ فتكون إرادته الفعلَ غير مبنيةٍ على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه حتى يدركه ولا يعدل عنه إلى مالا يلائمه، ثم يحتجُّ على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحدا؟!

وإليك مثالا يوضح ذلك: لو كان أمام الإنسان طريقان:

أحدهما: ينتهي به إلى بلد كلها فوضى، قَتْلٌ، ونَهْبٌ، وانتهاك للأعراض وخوف، وجوع، والثاني: ينتهي به إلى بلد كلها نظامٌ، وأَمْنٌ مُسْتَتِبٌ، وعَيْشٌ رغيدٌ، واحترامٌ للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟؟ إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبداً أن

Scanned with CamScanner

يسلك طريق بلد الفوضى، والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون طريق الجنة ويحتج بالقدر؟

ومثال آخر: نرى المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، وينهى عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلباً للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره ويحتج بالقَدر، فلماذا يترك الإنسان ما أَمَر الله به ورسوله، أو يفعل ما نهى الله عنه ورسوله ثم يحتجُّ بالقدر؟

السابع: أن المحتجَّ بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تَلُمْني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حُجّتَه، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتجّ به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!

ويذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: «رُفِعَ إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلا يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله، فقال عمر ﷺ: ونحن إنما نقطع بقدر الله».

* * *

مسائل في الإيمان بالقدر[1]

١- هل فعل الأسباب ينافي الإيمان بالقدر؟

الجواب: فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر، بل إن مباشرتها من تمام الإيمان بالقضاء والقدر.

---

(١) انظر: أعلام السنة المنشورة، الشيخ حافظ حكمي، (٧٩-٨١).

Scanned with CamScanner

ولهذا يجب على الإنسان – مع الإيمان بالقدر – الاجتهادُ في العمل، والأخذ بأسباب النجاة، والالتجاء إلى الله تعالى بأن ييسر له أسباب السعادة وأن يعينه عليها.

ونصوص الكتاب والسنة حافلة بالأمر باتخاذ الأسباب المشروعة في مختلف شؤون الحياة؛ فقد أمرتْ بالعمل، والسعي في طلب الرزق، واتخاذ العدد لمواجهة الأعداء، والتزود للأسفار، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الجمعة: ١٠). وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (الملك: ١٥).

وأمر ربنا سبحانه بالدعاء والاستعانة به وحده، فقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠).

وأمر باتخاذ الأسباب الشرعية التي تؤدي إلى رضوانه، وجنته، كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وغير ذلك.

وحياة الرسول ﷺ وأصحابه، والسائرين على نهجهم كلها شاهدة على أخذهم بالأسباب، والجدِّ والاجتهاد.

يقول ابن القيم رحمه الله: «الأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية»[1].

---

(١) مدارج السالكين (٢/٢١٦).

Scanned with CamScanner

٢- ما معنى قول النبي ﷺ: (والخيرُ كلُّهُ في يديكَ، والشرُّ ليس إليكَ)[1]، مع أن الله سبحانه خالق كل شيء؟

الجواب: معنى ذلك أن أفعال الله ﷻ كلها خيرٌ محضٌ؛ من حيث اتصافه بها، وصدورها عنه، ليس فيها شرٌّ بوجهٍ؛ فإنه تعالى حَكَمٌ عَدْلٌ، وجميعُ أفعالهِ حكمةٌ وعدلٌ، يضع الأشياءَ مواضَعها اللائقة به، كما هي معلومة عنده ﷻ.

وما كان في نفس المقدور من شرٍّ، فمن جهة إضافتِه إلى العبد؛ لما يلحقه من المهالك، وذلك بما كسبت يداه جزاءا وفاقا، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٠)، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الزخرف: ٧٦)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس: ٤٤).

٣- هل للعباد قدرة ومشيئة على أفعالهم المضافة إليهم؟

الجواب: نعم، للعباد قدرةٌ على أعمالهم، ولهم مشيئةٌ وإرادة، وأفعالهم تضاف إليهم حقيقةً، وبحسبها كُلِّفُوا، وعليها يثابون ويعاقبون، ولم يكلفْهم الله إلا وسعهم، وقد أثبت لهم ذلك في الكتاب والسنة ووصفهم به، ولكنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه، ولا يشاءون إلا أن يشاء الله، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين، فكما لم يُوجِدُوا أنفسَهم لم يُوجِدُوا أفعالَهم، فقدرتُهم ومشيئتُهم وإرادتُهم وأفعالُهم تابعةٌ لقدرتِه ومشيئتِه وإرادتِه وفعلِه.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث (٧٧١) عن علي بن أبي طالب ﷺ.

Scanned with CamScanner

فهو سبحانه خالقُهم وخالقُ قدرتِهم وإرادتِهم ومشيئتِهم وأفعالِهم، وليس مشيئتُهم وإرادتُهم وقدرتُهم وأفعالُهم هي عينُ مشيئة الله، وإرادته، وقدرته، وأفعاله، كما ليس هم إياه سبحانه، تعالى الله عن ذلك، بل أفعالُهم المخلوقةُ لله قائمةٌ بهم، لائقةٌ بهم، مضافةٌ إليهم حقيقةً، وهي من آثارِ أفعالِ اللهِ القائمةِ به، اللائقةِ المضافةِ إليه حقيقةً، فاللهُ فاعلٌ حقيقةً، والعبدُ منفعلٌ حقيقةً، واللهُ هادٍ حقيقةً، والعبدُ مهتدٍ حقيقةً.

وهكذا جميع تصرفِ الله في عباده، فمن أضاف الفعلَ والانفعالَ إلى العبدِ كفر، ومن أضافه إلى اللهِ كفر، ومن أضافَ الفعلَ إلى الخالقِ، والانفعالَ إلى المخلوقِ كلاهما حقيقةً، فهو المؤمن حقيقةً.

٤- ما جواب من قال: أليس ممكنًا في قدرة الله أن يجعل كلَّ عبادِهِ مؤمنين مهتدين طائعين، مع محبته ذلك منهم شرعًا؟

الجواب: بلى، هو قادر على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ ...الآية (النحل: ٩٣)، وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ (يونس: ٩٩)، وغيرهما من الآيات، ولكنْ هذا الذي فَعَلَهُ بهم، هو مقتضى حكمتِهِ، وموجِبُ ربوبيتِهِ، وإلهيتِهِ، وأسمائِهِ وصفاتِهِ.

فقول القائل: لِمَ كان من عبادِهِ الطائعُ والعاصي كقول مَنْ قالَ: لم كان من أسمائه المعطي والمانع، والخافض الرافعُ، والمنعم والمنتقم، ونحو ذلك؛ إذ أفعالُهُ تعالى هي مقتضى أسمائِهِ وآثارِ صفاتِهِ، فالاعتراضُ عليه في أفعالِه اعتراضٌ عليه في أسمائِهِ وصفاتِهِ، بل وعلى إلهيتِهِ وربُوبيتِهِ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢ – ٢٣).

Scanned with CamScanner

٩

الوحدة التاسعة

أهم التحديات الثقافية المعاصرة (الغلو والتطرف)

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على :

١ – معرفة مفهوم الغلو والتطرف.

٢ – الإلمام بأنواع الغلو والتطرف وموقف الإسلام منها.

٣ – القدرة على كتابة بحث يتناول موضوع الغلو والتطرف وأضراره.

Scanned with CamScanner

الغلو والتطرف

أولاً: تعريف الغلو والتطرف:

الغلو: «يقصد بالغلو المبالغة في الشيء، والتشديد فيه؛ بتجاوز الحد على سبيل التدين»[1]، وقد عُرِّف التطرف بنحو هذا أيضاً[2].

والحد الذي لا ينبغي تجاوزه: هو ما شرع الله في كتابه، وبلغه رسوله ﷺ في سنته؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

ثانياً: أنواع الغلو والتطرف:

هناك نوعان من الغلو:

١- **الغلو الاعتقادي:** وهو الغلو الواقع في كليات الشريعة ومسائلها العقائدية، مثل: الغلو في الصالحين بادِّعاء العِصْمَة لهم، أو تكفير المسلم العاصي[3].

٢- **الغلو العملي:** وهو الغلو الواقع في الجزئيات المتعلقة بالعمل والفروع دون الاعتقاد والأصول، ومنه: ما ورد في حديث الثلاثة الذين: (سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى

---

(١) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١٣/٢٩١).

(٢) راجع: لسان العرب، لابن منظور، مادة (ط ر ف)، والمعجم الوسيط، مادة (ط ر ف).

(٣) انظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، د. عبد الرحمن اللويحق (٧٠ – ٧٧).

Scanned with CamScanner

عَلَيْهِ. فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)[1][2].

ثالثاً: موقف الإسلام من الغلو والتطرف:

جاء الإسلام بنبذ الغلو والتطرف، ودعا إلى الوسطية والاعتدال، كما جاءت تشريعاته مبنية على اليسر ورفع الحرج، فمن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣).

وأهم ملامح الوسطية: الخيرية، والاستقامة، واليُسْر ورفع الحرج، والبينة، والعدل والحِكْمَة[3]. وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة: ٦).

- نهي النبي ﷺ عن الغلوِّ وبيانه سوء عاقبة الغالين، قال ﷺ: (وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ)[4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إياكم والغلوَّ في الدين: عام في جميع أنواع الغلو: في الاعتقادات، والأعمال»[5].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، حديث (٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، حديث (١٤٠١)، واللفظ له، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر: الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، د. عبد الرحمن اللويحق (٧٧)

(٣) انظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم، أ. د. ناصر العمر (٨٥).

(٤) أخرجه أحمد في المسند، مسند: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، حديث (١٨٥١). قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (٤/٣٣٧).

Scanned with CamScanner

وقال ﷺ: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) قالها ثلاثا[1]، قال النووي رحمه الله: «المتنطعون: هم المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»[2].

* * *

مقترح بحثي دراسي: عن أسباب وآثار الغلو والتطرف

يقترح القيام بنشاط بحثي، لدراسة أسباب الغلو والتطرف وآثاره على الفرد والمجتمع والدولة.

وذلك وفق المعايير التالية:

١ - تحديد موضوع البحث بدقة.

٢ - يكون البحث بحدود: (٥، ١٠) صفحات.

٣ - يتضمن البحث: أهمية دراسة الموضوع، وبيان المفاهيم لغة واصطلاحا، ووصف السبب أو الأثر بصورة واقعية ووسائل المعالجة في الشريعة الإسلامية وقواعد السياسة الشرعية، وخاتمة تبين نتيجة الدراسة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: هلك المتنطعون، حديث (٢٦٧٠). عن ابن مسعود رضي الله عنه

(٢) شرح النووي على مسلم (٩/ ٢٦).

Scanned with CamScanner

١٠

الوحدة العاشرة

نواقض الإيمان

أخي الطالب/ أختي الطالبة:

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على:

١- معرفة خطورة إطلاق ألفاظ التكفير على المسلمين دون ضوابطها الشرعية.

٢- الإلمام بأهم صور نواقض الإيمان.

٣- معرفة ضوابط تكفير المعين.

Scanned with CamScanner

مقدمة

إن قضية التكفير من القضايا التي تناولها العلماء من السلف والخلف ببالغ الأهمية؛ وما ذلك إلا لعظم هذه المسألة، فإن باب التكفير مما عَظُمَت فيه الفتنة وافترقت فيه الأهواء.

وقد دلَّت نصوص القرآن والسُنّة على التحذير والترهيب الشديدين من إطلاق التكفير والتفسيق على المسلمين من غير بينة ولا برهان.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا)[1].

قال الإمام النووي رحمه الله: «معناه: فقد رجع عليه تكفيره، فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير»[2].

فالأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم حرام من بعضهم على بعض، لا تحل إلا بإذن الله ورسوله. قال ﷺ في حجة الوداع: (...فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا...)[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال، حديث (٦١٠٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، حديث (٦٠).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٥٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحدود، باب: ظهر المؤمن حمى، حديث (٦٧٨٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان قول النبي ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً)، حديث (٦٦). عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

Scanned with CamScanner

لذا يجب أن نحتاط لهذه المسألة كثيراً ونلتزم منهج أهل السُنّة والجماعة في العلم بها، وعدم الخوض فيها، لاسيما وقد زلّتْ فيها أقدامٌ، وتنازعتْها أهواء.

وفي هذه الوحدة نبين أهم نواقض الإيمان ثم نوضح حُكْمَ تكفير المُعيَّن وضوابطه.

* * *

نواقض الإيمان

معنى النواقض:

في اللغة: النقض في البناء والحبل والعهد وغيره، ضدُّ الإبرام، أي هو: الحلُّ، والإزالة والإبطال[1] ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ (النحل: ٩٢).

وفي الاصطلاح هي: «اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال تزيل الإيمان وتقطعه»[2].

وسُمّيَتْ نواقض لأن الإنسان إذا فعل واحداً منها انتقض إسلامُه ودينُه، ويدخل في هذه النواقض ما يخرج من الملّة؛ كالشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر.

وسنتعرض لأهم هذه النواقض مبينين الدليل على اعتبار هذا الأمر ضمن نواقض الإيمان[3].

---

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة (ن ق ض)، والمفردات للراغب الأصفهاني (٨٢١).

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبد العزيز العبد اللطيف (٤٩).

(٣) للتوسع في معرفة هذه النواقض ينظر فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى، بداية المجلد الثاني.

Scanned with CamScanner

أولاً: الشرك بالله تعالى:

سواء كان شركا اعتقاديا باعتقاد أنَّ ما سِوى الله يستحق أن يُدعى أو يُذبح له، أو أن ما سواه له تصرُّفٌ لا يقدر عليه إلا الله سبحانه؛ كالخلق أو الرزق أو النفع أو الضرِّ، أو اعتقاد أن أحداً سوى الله له اطلاع على الغيب.

أو فعل شيئا من الشركيات بأن صرف جزء من عبادة الله لغيره[1]، كأن يُقدِّم لغير الله أنواع العبادات التي هي حق الله وحدَه؛ كالدعاء، والركوع، والسجود، والنَّذْر، والذَّبْح.

يقول النبي ﷺ: (من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار)[2].

والشرك بالله من أعظم النواقض وأخطرها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١١٦).

ثانياً: السبُّ أو الاستهزاء بالله تعالى، أو رسله، أو كتبه، أو دينه:

والسبُّ: هو الكلام الذي يُقصد منه الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يُفهم من السبّ في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقبيح ونحوه[3].

فالإيمان بالله تعالى مبنيٌّ على التعظيم والإجلال للربِّ سبحانه، ولا شكَّ أن سبَّ الله تعالى يناقض هذا التعظيم.

---

(١) انظر في التمثيل على ذلك فتاوى اللجنة الدائمة في موجبات الكفر ومنها الفتوى رقم الحديث (٢١٠١٩) المجموعة (٢) ص (١/ ١٤٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القران، سورة البقرة، رقم الحديث (٤٤٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم الحديث (٩٢).

(٣) انظر: المفردات للأصفهاني (٧٩٠)، والمصباح المنير، للفيومي (٧٨٧).

Scanned with CamScanner

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من اعتقد الوحدانية في الألوهية لله تعالى، والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يُتْبِعْ هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل – كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح»[1].

والاستهزاء: هو السخرية، والمزح في خفية، والاستخفاف[2].

فكل ذلك داخل في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ (التوبة: ٦٥ – ٦٦). قال ابن تيمية رحمه الله: «وهذا نصٌّ في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر»[3].

ومن ذلك أيضا: الاستهانة بالمصحف، وتلويثه بالنجاسات أو دَوْسه بالأقدام.

ثالثاً: النفاق الاعتقادي (وهو النفاق الأكبر):

وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٤٥).

---

(١) الصارم المسلول (٥/٧٣).

(٢) المصدر السابق (٥/٧٣)، وانظر فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة (١) ص(١/٣٨٧) فتوى رقم (٤٤٤٠)

(٣) المصدر السابق (٣/٢٩).

Scanned with CamScanner

وهو أنواع من أهمها:

أ) تكذيب الرسول ﷺ أو بعض ما جاء به.

ب) بُغض الرسول ﷺ أو بغض ما جاء به.

ج) المسرّةُ بضعف الإسلام أو الكراهية لانتصاره.

رابعاً: السِّحْر:

وهو في الشرع: «عزائم ورُقى وعُقَد تؤثر في الأبدان والقلوب، فيمرض ويقتل ويفرّق بين المرء وزوجه»[1].

وهو شركٌ يكفر فاعله؛ لأن فيه استعانةً بالشياطين بطاعتهم والتقرب إليهم بفعل الكفر، وذلك لتسليطهم على المسحور.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ (البقرة: ١٠٢).

خامساً: ادعاء علم الغيب:

كالتنجيم والكهانة والعَرَافة ومن يجعل تعلُّم عِلْم النجوم «سبباً يدّعي به علم الغيب، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النَّجم الفلاني صار كذا وكذا، مثل أن يقول: هذا الإنسان ستكون حياته شقاءً؛

---

(1) كشاف القناع، للبهوتي (٦/١٦٧).

Scanned with CamScanner

لأنه ولد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه ولد في النجم الفلاني.

فهذا اتخذ تعلُّم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كُفْرٌ مُخْرِجٌ عن الملّة، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النمل: ٦٥)، وهذا من أقوى أنواع الحصر؛ لأنه بالنفي والإثبات، فإذا ادّعى أحد علم الغيب فقد كذَّب بالقرآن»[(١)].

فمن سأل المُنجِّم أو الكاهن وصدّقه كَفَرَ بالله تعالى؛ قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَتَى عَرّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)[(٢)]، وإنْ لم يصدِّقه فكما قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[(٣)].

سادساً: إنكار معلوم من الدين بالضرورة، أو استحلال أمر معلوم من الدين بالضرورة تحريمه، وكذا تحريم ما عُلم من الدين إباحته:

مثال المعلوم من الدين بالضرورة: إنكار الكتب المنزلة على الأنبياء، أو إنكار الملائكة، أو إنكار الجن، أو إنكار البعث، أو إنكار الوعد والوعيد، أو غير ذلك مما هو معلوم لا يخفى.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد العثيمين (٢/٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الطب، باب: في الكهان، حديث (٣٩٠٤)، والترمذي في سننه، كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض، حديث (١٣٥). عن أبي هريرة، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث (٢٢٣٠). عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ.

Scanned with CamScanner

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: «من اعتقد حِلَّ شيءٍ أُجمع على تحريمه، وظهر حكمه بين المسلمين، وزالت الشُّبهة فيه للنصوص الواردة فيه كلحم الخنزير، والزنا، وأشباه هذا مما لا خلاف فيه كفر»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والإنسان متى حلل الحرام - المجمع عليه - أو حرم الحلال - المجمع عليه - أو بدل الشرع - المجمع عليه - كان كافرًا مرتدًّا باتفاق الفقهاء»[2].

سابعاً: الشك في حُكْمٍ من أحكام الله عز وجل أو في خبر من أخباره[3]:

كمن يشك في بعض أحكام الدين القطعية أو الأخبار الثابتة في القران أو السنة مع علمه بذلك وإقامة الحجة عليه.

ومثال ذلك: من يشك في حُرْمَةِ الزنا أو الرِّبا أو الميسر ونحوها مما ورد النص عليه.

أو يشك في الأخبار المذكورة في القران كقصة موسى أو عيسى عليهما السلام، أو بأجوج ومأجوج ونحوها.

ثامناً: من لم يُكفّر المشركين أو شكّ في كفرهم، أو صحّح مذهبهم:

فإن الله أرسل النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالإسلام، وجعله ناسخاً لما قبله من الأديان، وأخبر أنه لا يقبل من أحد ديناً سواه، فكل من دان بغير دين الإسلام؛ فهو كافر، قال

---

(1) المغني (١٣١/٨).

(2) مجموع الفتاوى (٢٦٧/٣).

(3) ينظر فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة (١) ص (٨/٢) وما بعدها.

Scanned with CamScanner

تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

تاسعاً: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين وهو مختارٌ غير مكرهٍ، مع محبة ما هم عليه من الكفر والشرك والضلال، فهذا لا شكَّ أنه كفرٌ أكبر مخرج من الملة.

قال الشيخ صالح الفوزان: «مظاهرة الكفار ومعاونتهم على المسلمين، مع محبة ما هم عليه من الكفر والشرك والضلال، فهذا القسم لا شكَّ أنه كفر أكبر مخرج من الملة، فمَنْ ظاهرهم وأعانهم وساعدهم على المسلمين مع محبة دينهم وما هم عليه والرضا عنهم وهو مختار غير مكره فإنه يكون كفرًا أكبر مخرج من الملة على ظاهر قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ٥١)، ... وأما من يعين الكفار على المسلمين وهو مختار غير مكره مع بغضه لدين الكفار وعدم الرضا عنه؛ فهذا لا شكَّ أنه فاعل لكبيرة من كبائر الذنوب ويخشى عليه من الكفر»[(١)].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: في بيان معنى الموالاة وضابطها: «موالاة الكفار التي يكفر بها من والاهم هي: محبتُهم، ونصرتُهم على المسلمين، لا مجرد التعامل معهم بالعدل، ولا مخالطتهم لدعوتهم للإسلام، ولا غشيان مجالسهم والسفر إليهم للبلاغ ونشر الإسلام»[(٢)].

---

(١) نواقض الإسلام، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، بشرح الشيخ صالح الفوزان (١٥٩، ١٦٠).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٤٧/٢)، الفتوى رقم (٦٩٠١)

Scanned with CamScanner

عاشراً: الإعراضُ عن دينِ الله لا يتعلمه ولا يعملُ به:

فالإيمان لمّا كان خضوعاً واستجابةً وقبولاً لدين الله، عُدَّ الإعراض الكلي عن هذه الأمور ناقضاً للإيمان ومفسداً له، وهذا الإعراض عن دين الله – لا يتعلمه ولا يعمل به – هو تَوَلٍّ عن طاعة الرسول ﷺ، وامتناعٌ عن اتباعه، وصدودٌ عن قبول الشريعة بالكلية؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (السجدة: ٢٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قد تبيّن أن الدين لابدَّ فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يُؤدِّ واجباً ظاهراً، ولا صلاةً، ولا زكاةً، ولا صياماً، ولا غير ذلك من الواجبات»[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: «كُفْر الإعراض: أن يُعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدّقه ولا يكذّبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة»[2].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٦٢١).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٣٨).

Scanned with CamScanner

١١

الوحدة الحادية عشرة

الشريعة الإسلامية وأبرز مقاصدها

عزيزي الطالب/أختي الطالبة :

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على :

١ – معرفة مفهوم الشريعة ، وصورٍ من سماحتها.

٢ – إبراز أهمية المعرفة بمقاصد الشريعة.

٣ – بيان مراتب مقاصد الشريعة.

٤ – التزام كل ما من شأنه الحفاظ على مقاصد الشريعة وصيانتها.

Scanned with CamScanner

الشريعة الإسلامية وأبرز مقاصدها

إن معرفة مقاصد الشريعة الإسلامية هو غاية نبيلة، ووسيلة شرعية، من خلالها يأخذ المسلم الحكمة من التشريعات والأحكام التكليفية، إذ لا شكَّ أن لكلِّ حكم غايةً وعلةً تجلب للعبد منفعة أو تدفع عنه مضرة.

هذه الحِكَم والمقاصد قد تصرِّح بها نصوص الكتاب والسُنّة، وقد يصل إليها أهل العلم بالنظر والتدبر؛ اعتماداً على القواعد العامة للشريعة وتحكيمها في فهم النصوص وتوجيهها[1]، وسوف نستعرض من خلال هذه الوحدة مفهوم الشريعة، وسماحتها، وأهمية معرفة مقاصدها، ومراتبها، وذلك على النحو الآتي:

* * *

أولاً: تعريف الشريعة الإسلامية

١- الشريعة في اللغة والاصطلاح:

الشريعة في اللغة:

مفرد الشرائع، وهي موارد الماء التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، سُمّيت بذلك لوضوحها وظهورها، واشتق من ذلك الشرعة في الدين والشريعة[2].

الشريعة في الاصطلاح:

الشريعة هي كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأصول والعبادات والأعمال والسياسات والأحكام[3].

---

(١) انظر: مقاصد الشريعة، طه العلواني (١٢٣ – ١٢٤).

(٢) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (٢٦٣/٣)، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير(٤٦٠/٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم (١٣٤/١٩، ٣٠٧-٣٠٨).

Scanned with CamScanner

٢ – سماحة الشريعة:

من أبرز سمات التشريع الإسلامي، السماحة والرحمة، ورفع الحرج ودفع المشقة، ويُسْر الأحكام، ويتجلّى هذا في الإسلام عقيدة وشريعة:

ففي العقيدة: يبدو اليسر في أركانها الستة بلا غموض أو تعقيد؛ بل إيمان بالله وحده، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، على نحو ما فصَّلنا في وحدات العقيدة.

وفي العبادة: لم يُكلِّف الله نفساً إلا وسعها، وإلا ما آتاها، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦). ورفع الله سبحانه الحرج في شأن العبادة كلِّه، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨). أي: «ما كلَّفكم ما لا تطيقون، وما ألزمكم بشيء فشقَّ عليكم إلا جعل الله لكم فرجاً ومخرجا»[(١)].

وقال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥).

ففي الوضوء والصلاة: شُرِع التيمُّم بالتراب الطهور لمن لم يستطع الوضوء بالماء، وفي الصلاة رُخِّص لغير القادر على القيام فيها أن يصلي من قعود، ولغير القادر على أدائها من قعود أداؤها مضطجعاً[(٢)].

وفي الصيام: رُخِّص للمريض والمسافر سفراً طويلا أن يُفطرا ويقضيا في أيام أُخَر، وكذلك رُخِّص للحامل والمرضع في الإفطار والقضاء في أيام أخرى بشروطٍ

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/٤٥٥).

(٢) وقد ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب: تقصير الصلاة، باب: إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب، حديث (١١١٧). عن عمران بن حصين رضي الله عنهما.

Scanned with CamScanner

يرجع إلى مظانها من كتب الفقه. قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٤).

وأما في الحج: فإن الله سبحانه لم يشرعْه في كل شهر ولا في كلِّ سَنَة، بل أوجبه الله تعالى مرة واحدة في العمر، ولم يفرضه على الجميع، بل على المستطيع فقط، قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ (آل عمران: ٩٧).

وفي المعاملات: فالهدي النبوي يدعو إلى السماحة في المعاملات المباحة من بيع وشراء وقضاء، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحاً إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى)[1].

ومع غير المسلمين: قرَّر الإسلام حماية أهل الذمّة وهم المستأمنون في ديار الإسلام، وأكّد على حقوق أهل الكتاب والمعاهدين، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨).

وعن رسول الله ﷺ: (أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً أَوِ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[2].

* * *

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع، حديث (٢٠٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الخراج والإمارة، باب: في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، حديث (٣٠٥٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٦٢٦). عن عدة من أبناء أصحاب رسول

Scanned with CamScanner

ثانياً: أبرز مقاصد الشريعة

١ – تعريف مقاصد الشريعة لغةً واصطلاحًا:

تعريف المقاصد لغةً:

المقاصد أصلها من الفعل الثلاثي (ق ص د)، يقصِد قصدًا، والمقصَد: مصدر ميمي، وجمعها: مقاصد. ولها عدة معانٍ لغوية: والأصل في هذا الباب أصالة: أن القصد: هو الاعتزام والاعتماد والأَمُّ وطلب الشيء وإتيانه[١].

تعريف مقاصد الشريعة اصطلاحًا:

«هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حِكَمًا جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد: هو تقرير عبودية الله، ومصلحة الإنسان في الدارين»[٢].

فالمقصد العام من التشريع هو حفظ نظام العالم واستدامة صلاحه بصلاح المستخلفين؛ في عقيدتهم وعبادتهم وكافة شؤون حياتهم، وما بين أيديهم من موجودات العالم الذي يعيشون فيه، وقد حكى القرآن الكريم قول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾ (هود: ٨٨)، ويقول تعالى مبينا حال بعض المفسدين: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ (البقرة: ٢٠٥).

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/٩٥ - ٩٦).

(٢) الاجتهاد المقاصدي: حجيته، ضوابطه، مجالاته، د. نور الدين الخادمي (١/٥٢ - ٥٣)، كتاب الأمة، عدد (٦٦).

Scanned with CamScanner

فالمطلوب هو الطاعة وتحقيق العبودية لله وحده، وبذل منتهى الاستطاعة في الإصلاح واستعمار الأرض وبنائها[1].

وعليه: فإن الشريعة إنما جاءت لأمرين هما:

جلب المصالح للعباد، ودرء المفاسد عنهم، في دنياهم وآخرتهم.

ويدخل في جلب المصالح: إيجاد ما هو مفقود، وتنمية ما هو موجود. أما دَرْء المفاسد فيدخل فيه إزالتها، وتقليلها، والوقاية منها.

وقد بيَّن ابنُ قيم الجوزية رحمه الله ذلك بقوله: «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحِكْمَة كلها. فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجَور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحِكْمَة إلى العبث، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ...»[2].

وقد ضرب ابن القيم رحمه الله لذلك أمثلة، فمنها:

أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر؛ ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة؛ بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم فقال: لا، ما أقاموا الصلاة[3].

---

(١) انظر: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية، د. صالح بن عبد الله بن حميد (١٤).

(٢) انظر: رب العالمين (٢/٣).

Scanned with CamScanner

وقال ﷺ: (مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْراً فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)[1][2].

وقال ابن القيم رحمه الله أيضاً سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر؛ فأنكر عليهم من كان معي؛ فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة؛ وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس، وسبي الذرية، وأخذ الأموال؛ فدعهم[3].

٢- أهمية معرفة مقاصد الشريعة:

- **تحقيق العبودية لله سبحانه:** التي هي الغاية من خلق لعباد، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). فكما أن الخلق عبادٌ لله كوناً وقدراً، فيجب أن يكونوا عباداً لله شرعاً وديناً.
- **زيادة الإيمان بالله** وترسيخ العقيدة في القلب؛ ليكون لدى المسلم يقين واستسلام لدين الله، وتزداد محبته له، والالتزام بأحكامه، ويرفض الاستعاضة عنه.

قتالهم ما صلوا، ونحو ذلك، حديث (١٨٥٤) عن أم سلمة رضي الله عنها.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ، (سترون بعدي أمورا تنكرونها)، حديث (٧٠٥٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن...، حديث (١٨٤٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/٣) بتصرف يسير.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/٣).

Scanned with CamScanner

- **إعطاء المسلم مناعة كافية** – لاسيَّمَا في وقتنا الحاضر – ضد الغزو الفكري والعقدي، والتيارات المستوردة التي يبذل أصحابها جهدهم لإخفاء محاسن الشريعة، والافتراء عليها، فـ«القيام بدفع شُبَهِ المبطلين، لا يَتعرض له إلا مَنْ طالع علوم الشريعة وحفظ الكثير منها، وفهم مقاصدها وأحكامها، وأخذ ذلك عن أئمةٍ فاوَضَهُم فيها، وراجعهم في ألفاظها وأغراضها»[1].

وعليه: فإن الكشف عن المقاصد التشريعية فيه ترغيبٌ وتشويق في الأحكام الشرعية، والمطالبة بتطبيقها؛ لأن الطبيعة البشرية تحب ما ينفعها، وتميل قلوبها إلى ما وضح طريقه، وظهرت منفعته[2].

٣ – مراتب مقاصد الشريعة:

وهي ثلاث مراتب:

أ) مرتبة الضروريات: وهي التي «لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تَجْرِ مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد، وتهارج، وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين»[3].

---

(١) الذخيرة، شهاب الدين القرافي (١٣/٢٣٢).
(٢) انظر: مقاصد الشريعة عند ابن تيمية، د. يوسف أحمد البدوي (١٠٣ – ١٠٥).
(٣) انظر: [illegible] (٢/٨).

Scanned with CamScanner

ومثالها: الضرورات الخمس، وعليها تدور مصالح الخلق، وهي:

١- حِفْظُ الدين.
٢- حِفْظُ النَّفْس.
٣- حِفْظُ النَّسْل.
٤- حِفْظُ العقل.
٥- حِفْظُ المال.

ومن الأدلة على هذه الخمس الضرورات، قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥١ – ١٥٣).

وتفصيل هذه الضروريات كما يأتي:

١ – **حِفْظُ الدِّين:** ذلك لأن الغاية من بعثة الرسل، وإنزال الكتب، وخلق الجن والإنس (إفراد الله بالعبادة) قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

٢ – **حِفْظُ النَّفْس:** في قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ ﴾ (الأنعام: ١٥١)، وفي قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ﴾ (الأنعام: ١٥١).

Scanned with CamScanner

٣ – **حِفْظُ العقل:** فالعقل مناط التكليف، وقد وردت الأدلة بتحريم ما يفسده أو يعطله، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠ – ٩١).

٤ – **حِفْظُ النَّسْل:** في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ﴾ (الأنعام: ١٥١)، ومن الفواحش: الزنا – وسبيله الاختلاط المحرم – واللواط، واستباحة الأعراض.

٥ – **حِفْظُ المال:** كما في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ (الأنعام: ١٥٢).

والحفظ لهذه الضروريات يكون بأمرين:

أحدهما: ما يقيم أركانها، ويثبت قواعدها.

والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع عليها.

فالدين: حفظه – كما سبق – يكون بالإيمان بالله، وتعظيمه، ومعرفة أسمائه وصفاته، والإتيان بأركان الإسلام الخمسة، وحفظ الدين من الشرك المنافي للتوحيد الخالص، والدعوة إلى الصراط المستقيم، ومحاربة البدع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والدين القائم بالقلب من الإيمان علما وحالا هو «الأصل»، والأعمال الظاهرة هي «الفروع»، وهي كمال الإيمان. فالدين أول ما يبنى من أصوله، ويكمل بفروعه، كما أنزل الله بمكة أصوله؛ من التوحيد، والأمثال التي هي المقاييس العقلية، والقصص، والوعد والوعيد، ثم أنزل بالمدينة

Scanned with CamScanner

فروعه الظاهرة؛ من الجمعة والجماعة، والأذان والإقامة، والجهاد، والصيام، وتحريم الخمر، والزنا، والميسر، وغير ذلك من واجباته ومحرماته، فأصوله تمد فروعه وتثبتها، وفروعه تكمل أصوله وتحفظها»[1].

والنفس: حفظها يكون بالقيام عليها، وتوفير أسباب العيش لها، وبمشروعية القصاص عند إتلافها بغير بحق.

والعقل: حفظه يكون بالعلم الصحيح، والاستناد إلى البرهان والدليل، ومحاربة الدجل، والشعوذة، ومنع المسكرات والمخدرات، وما يتلف العقل أو يذهب به.

والنسل: حفظه يكون بالتناكح، ورعاية الأولاد وتربيتهم على منهج الإسلام، وتعاهدهم بالتعليم والتأديب، ومنع الاختلاط المحرم بين الرجال والنساء، وتنفيذ الحدود الشرعية بضوابطها عند الزنا.

والمال: حفظه يكون بتنميته وتأدية حقّ الله فيه، وعدم إتلافه، او تبذيره وإنفاقه في غير ما أحلّ الله، وبإيجاب الضمان، وتنفيذ حد السرقة بضوابطه.

ب) مرتبة الحاجيات: وهي المفتقرُ إليها للتوسعة ورفع الضيق والحرج، دون أن يبلغ فقدانها مبلغ الفساد العام والضرر الفادح[2].

ومنها: الرُّخص الشرعية في العبادات، والإجارة، والمضاربة، والمزارعة وغير ذلك مما يحتاجه الناس في المعاملات، وإباحة الصيد في العادات...إلخ.

فهذه الأشياء وما أشبهها لا يلزم من فواتها فوات شيء من الضروريات، وبعضها أبلغ من بعض، وقد يكون الحاجيُّ ضروريًا في بعض الصور[3].

---

(١) مجمع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم (١٠/٣٥٤ـ ٣٥٥) بتصرف يسير

(٢) انظر: الموافقات، للشاطبي (٢/٨).

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار (٤/١٦٥).

Scanned with CamScanner

والمقصود من المقاصد الحاجية: رفع الحرج عن العباد، وحماية الضروريات وحفظها، وتحقيق مصالح أخرى تابعة للضروريات.

ج) مرتبة التحسينيات: وهي «الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات، التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق»[1].

مثل: الطهارة وأخذ الزينة، ومنع التدليس والتغرير، والمنع من قتل نساء وصبيان ورهبان الكفار المحاربين، ما لم يشاركوا في القتال، والمنع من بيع النجاسات، والمستخبثات...إلخ.

فلا يترتب على فقدها اختلال نظام الحياة ولا وقوع الناس في الحرج، ولكن يترتب على فقدها خروج الناس على مقتضى الكمال الإنساني والمروءة وما تستحسنه العقول السليمة.

فالأحكام الشرعية التي شرعت لحفظ الضروريات أهم الأحكام وأحقها بالمراعاة، وتليها الأحكام التي شرعت لتوفير الحاجيات، ثم الأحكام التي شرعت للتحسين والتجميل، وتعتبر الأحكام التي شرعت للتحسينيات كالمكملة التي شرعت للحاجيات، وتعتبر الأحكام التي شرعت للحاجيات كالمكملة للتي شرعت لحفظ الضروريات[2].

Scanned with CamScanner

١٢

الوحدة الثانية عشرة

العبادات في الإسلام وحكمها

أخي الطالب/ أختي الطالبة :

يتوقع بعد دراستك لهذه الوحدة أن تكون قادراً على :

١ – بيان شمولية العبادة للقلب واللسان والجوارح.

٢ – امتثال شروط العبادة في كلِّ عمل يُتعبَّد به لله سبحانه.

٣ – إدراك حِكم العبادات، ومعرفة مقاصدها، وتلمُّس آثارها.

Scanned with CamScanner

العبادات في الإسلام وحكمها

للعبادة في الإسلام منزلة رفيعة، ومكانة جليلة، تجعل الحديث عنها بالغ الأهمية، فهي الغاية من خلق الإنسان، ولا تكون للحياة أية قيمة ما لم تكن جميع مظاهرها مُعبِّرة عن معاني التذلل والخضوع لله ﷻ؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

وسوف نشرع خلال هذه الوحدة في بيان مفهوم العبادة وحِكَمِها ومقاصدها، مع بيان شروط قبولها.

* * *

أولاً: مفهومها وحُكمُها وأهميتها وشروطُها

١ – مفهوم العبادة:

«العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال، والأعمال الباطنة، والظاهرة»[(١)].

شمولية العبادة:

فالعبادة تشمل: قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح، كما قال ابن القيم رحمه الله: «**وبني ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ على أربع قواعد:**

التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان، والقلب، وعمل القلب والجوارح، فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الأربع، فأصحاب ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ حقاً هم أصحابها.

---

(١) العبودية، لابن تيمية (١).

Scanned with CamScanner

فقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته على لسان رسله.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذبُّ عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره.

وعمل القلب: كالمحبة له والتوكل عليه والإنابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له... وغير ذلك من أعمال القلوب التي فرضُها أفرضُ من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة.

وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد، ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك»[1].

٢ - حُكم العبادة:

العبادة حق الله على خلقه، وتحقيقها هو غاية خلق الثقلين؛ وغاية إرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وعن معاذٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: (حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً)[2].

والعبادات في الإسلام لا تخرج عن دائرة الطلب، لكنها متفاوتة في درجة طلبها، فمنها ما هو فَرْض عَيْن، ومنها فَرْض كفاية، ومنها مستحب.

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ١٠٠ - ١٠١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: اسم الفرس والحمار، حديث (٢٨٥٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، حديث (٣٠)، واللفظ له.

Scanned with CamScanner

أ) **فَرْضُ العَيْن**: وهي العبادات المطلوبة من كل مسلم بعينه، أو من بعض المسلمين بأعيانهم، ومثاله: الصلوات الخمس المكتوبات، وصوم شهر رمضان، وأداء زكاة المال، وحَجُّ بيت الله الحرام على من توفرت فيه شروط وجوبها.

ب) **فرْضُ الكفاية**: وهي العبادات المطلوبة من مجموع المسلمين لا جميعهم، فإذا قام بها البعض سقطت عن الباقين، وإذا تركها الجميع أثموا جميعا ومثاله: صلاة العيدين، وصلاة الجنازة، غسل الميت ودفنه.

ج) **السُنّة المستحبة**: وهي العبادات المطلوبة غير الواجبة التي إذا فعلها المسلم أثيب عليها، وإذا تركها لم يأثم، ومثالها: صلاة قيام الليل، وصلاة التراويح، والسُنّة الراتبة، وصيام التطوع، وصدقة التطوع، وحج التطوع[1].

٣ – أهمية العبادة[2]:

لا شك أن الغاية العظمى من العبادات هو إصلاح القلوب، ولا يتم لها ذلك إلا بأن تذل وتخضع وتستكين لخالقها، وتنيب وتعود لربها، وترهب وترغب لمولاها، فبذلك يتم صلاح القلب، ويسعد العبد في دنياه وأخراه، ولهذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: «من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية»[3]، **ومما يدل على عظيم أهميتها:**

---

(١) انظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار (١/ ٣٧٥) وما بعدها، والثقافة الإسلامية، أ. د. محمد أحمد باجابر وزميله (٢٥٥).

(٢) انظر: رسالة العبودية، لابن تيمية (١٣ – ١٥).

(٣) انظر: السالكين، لابن القيم (١/ ٤٣١).

Scanned with CamScanner

أ)أنها الغاية المحبوبة لله، والمرضية له، قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

ب) جعل الله ﷻ العبادة لازمة لرسوله ﷺ إلى الموت، وهذا يدل على أنه لا يمكن أبدا أن تأتي فترة يكون الإنسان فيها قد سقط عنه التعبد، يقول الله ﷻ: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ (الحجر: ٩٩). أي: الموت[1].

ج) وصف الله رسوله محمدا ﷺ بالعبودية في أكمل أحواله، فقال في الإسراء: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ (الإسراء: ١)، وقال في الإيحاء: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ (النجم: ١٠)، وقال في الدعوة: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ (الجن: ١٩)، فهذه مقامات عظيمة وصف فيها الله ﷻ رسوله محمدا ﷺ بالعبودية في هذه المقامات، وهذا يدل على أهمية هذه القضية من قضايا العقيدة، وأنها تعتبر أساساً من أُسس الدين وأصوله.

٤ – شروط العبادة[2]:

الشرط الأول: الإخلاص:

والإخلاص معناه: «إفراد الله سبحانه بالقصد في الطاعة»[3].

كما قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف: ١١٠)، وقال ﷺ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ

(١) انظر: تفسير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر (١٧/ ١٦٠).

(٢) انظر: العبادة، عبد الرحمن حبنكة (٥٤)، ونظام الإسلام، د. أسامة الربابعه وزملاؤه (١٠١ – ١٠٣).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٩١).

Scanned with CamScanner

كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)[1].

قال ابن القيم رحمه الله: «فعمل القلب هو رُوح العبودية ولُبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الميت بلا رُوح، والنية هي عمل القلب...»[2]، وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ)[3].

قال أيضًا رحمه الله: «أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة هم أهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حقيقة، وأعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله، وحبُّهم لله، وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهراً وباطناً لوجه الله وحده، لا يريدون بذلك من الناس جزاءً ولا شكوراً، ولا ابتغاء الجاه عندهم وطلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم ولا هربا من ذمهم، بل قد عدوا الناس بمنزلة أصحاب القبور لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً ولا حياة ولا نشوراً»[4].

الشرط الثاني: المتابعة:

بأن تكون عبادة المسلم موافقة لشرع الله، مأذوناً له فيها، وعلى الكيفية التي أرادها الله وارتضاها.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث (١)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: قوله ﷺ: (إنما الأعمال بالنية) وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال، حديث (١٩٠٧) واللفظ له. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) بدائع الفوائد (٤/٢٨٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، حديث (٢٥٦٤). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) [illegible] السالكين (١/٨٣).

Scanned with CamScanner

ودليل هذا الشرط قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (الحشر: ٧).

وقول رسول الله ﷺ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)[١].

قال ابن القيم رحمه الله وهو يذكر أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة: «كذلك أعمالهم وعبادتهم موافقة لأمر الله، ولِما يُحبه ويرضاه، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عاملٍ سواه، وهو الذي ابتلى عباده بالموت والحياة لأجله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: ٢)».

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «العمل الحسن هو: أخلصه وأصوبه... والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على السُّنّة»[٢].

وقد جمع الله بين هذه الشروط، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: ١٢٥).

قال السعدي رحمه الله: «أي: لا أحدَ أحسن من دينِ مَن جَمَع بين الإخلاص للمعبود، وهو إسلام الوجه لله، الدَّال على استسلام القلب، وتوجُّهه وإنابته وإخلاصه، وتوجُّه الوجه وسائر الأعضاء لله، ﴿وَهُوَ﴾ مع هذا الإخلاص والاستسلام، ﴿مُحْسِنٌ﴾ أي: متبعٌ لشريعة الله التي أرسل الله بها رُسله، وأنزل كتُبه وجعلها طريقاً لخواص خلقه وأتباعه، ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: دينه وشرعه، ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلاً عن الشرك إلى التوحيد وعن التوجُّه للخلق، إلى الإقبال على الخالق»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث (١٧١٨). عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) مدارج السالكين (١/ ٨٣ – ٨٤).

(٣) تفسير السعدي (٢٠٦).

Scanned with CamScanner

ثانياً: مِنْ حِكَم العبادات

شُرعت العبادات في الإسلام لمقاصد سامية، وفوائد نبيلة، وأسرار بديعة؛ وهذا مقتضى حِكْمَة الله تعالى، والغاية من خلق الجن والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، وقد مضى معنا طرفٌ من أهميتها.

فنقول: إن الله سبحانه لم يكلِّفنا بالعبادات لأجل المشقة علينا، أو لنكون قائمين بتطبيقها فحسب، أو لحاجته لنا ولعباداتنا، كيف وهو يقول: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ (محمد: ٣٨)، بل شرعها سبحانه لمصلحتنا وتربيتنا؛ فتكون هذه العبادات زاداً لنا على طريق الصلاح والتزكية، يقول البيضاوي رحمه الله: «إنَّ الاستقراء دلَّ على أنَّ الله سبحانه شرع أحكامه لمصالح العباد»[1]، وسوف نتعرف في هذه الصفحات على بعض الحكم من العبادات، وآثارها على الفرد والمجتمع.

من حكم العبادات[2]:

١ – الامتثال لأمر الله تعالى، وتطبيق شرعه، وتحقيق التسليم المطلق لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦).

٢ – القيام بواجب الشكر لله تعالى، وأداء حقه على عباده، وشكره على نعمه وآلائه، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان: ٦٢).

---

(١) المنهاج (٢٣٣).

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية، د. علي بادحدح وزميله (٢٧٩)، ومقاصد المكلفين فيما يتعبد به لرب العالمين، للأشقر (٥٩).

Scanned with CamScanner

٣ – الابتلاء والامتحان بالتكليف بالعبادة والطاعة التي عليها مدار الثواب والعقاب، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢).

* * *

الحِكْمَة من أداء أركان الإسلام الخمسة

أولاً: الصلاة:

الصلاة عمود الإسلام، ورُكْنُ الدين المتين، وشعيرة من أعظم الشعائر، اعتنى بها الإسلام عناية بالغة، وجعلها عبادة تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات، كما جعلها عبادة لازمة في جميع الحالات والظروف، كالحَضَر والسَفَر، والمرَض، والأمن والسِّلم، والخوف والحَرْب، **ومن حِكَم الصلاة:**

١ – عبوديةٌ لله تعالى، وذكرٌ له وطاعةٌ وامتثالٌ وربطٌ للمؤمن بربه وخالقه، واعتراف منه بخالقه، وإقرار بألوهيته ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ (طه: ١٤).

٢ – القُرْبُ من الله سبحانه، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ)[١].

٣ – أنها قُرَّة عَيْن، وراحة قلب[٢]، ولذا كان النبي ﷺ يقول: (يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا)[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال فى الركوع والسجود، حديث (٤٨٢). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: أسرار الصلاة، لابن القيم: (١٢٦).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الأدب: باب: في صلاة العتمة، حديث (٢٣٠٨٨) وصححه الألباني عن رجل من خزاعة.

Scanned with CamScanner

٤ – تطهيرٌ من الذنوب والمعاصي، وغسيل للدرن، وصلاحٌ للنفس وتهذيب للسلوك[1].

ثانياً: الزكاة:

وهي من أركان الإسلام الخمسة، وهي عبادة سنوية؛ تؤدى في كل سَنَة مرة واحدة في غالب أصنافها، من الثمار والحبوب، أو بهيمة الأنعام وغير ذلك من أصناف الزكاة، وتجب في الأموال النامية، لازمةٌ لمن ملك نصاباً، ولا تجب على الفقير الذي لا يملك مالاً.

حِكَم الزكاة:

١ – عبودية لله تعالى، وامتثال لأوامره في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه ﷺ في السُنّة المطهرة، وامتثال أيضاً لزواجره في النهي عن البُخْلِ والشُّح بمال الله، الذي استخلفنا عليه، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧).

٢ – تطهير وتزكية لصاحبها من الذنوب والمعاصي، وتكثير الدرجات، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة: ١٠٣).

٣ – تعويد على البذل والعطاء، وتخليص القلوب من التعلق بالدنيا، وإعانة للنفس على التخلص من الشح والجشع، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ

(١) انظر: مقاصد العبادات، عز الدين بن عبد السلام (١٢) وما بعدها.

Scanned with CamScanner

﴿ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩).

٤ – مواساة الفقراء والإحسان إليهم، ومواساة أبناء السبيل، ومواساة المؤلفة قلوبهم، وتقوية إيمانهم، ودعوتهم إلى الخير، ومساعدة الرِّقاب على العِتْق وفَكّ الأسارى، ومساعدة الغارمين على قضاء ديونهم، ومساعدة الغُزاة على الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦٠).

ثالثاً: الصوم:

رُكْنٌ من أركان الإسلام، وهو عبادة سنوية، تتكرر مرة واحدة في كل سَنَة، كما أنه عبادة لازمة لمن قوى عليها واستطاعها، ولا تجب على المريض المزمن، ولا الكبير العاجز عنها، وتسقط عن المسافر حال سفره، ويقضي إذا فرغ من سفره.

حِكَمه:

١ – تحقيق تقوى الله؛ فإن النفس إذا تركت ما هو مباح في الأصل وهو الأكل والشرب امتثالاً لأمر الله في نهار رمضان كان ذلك داعياً لترك المحرمات الأخرى، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣)، وقال النبي ﷺ:

Scanned with CamScanner

(مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)[1].

٢ – عبودية لله تعالى، ودليل إخلاص ومراقبة له سبحانه، لأنه عبادة خفية، وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (يَقُولُ اللهُ عز وجل: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي)[2].

٣ – التعود على الصبر والتحمل، وقوة الإرادة، وترك الشهوات مما يعين على ترك المعاصي.

٤ – الشعور بحال الفقراء والمساكين والمحرومين الذين سُلبوا كثيراً من النعم، وتذوُّق طعم الحرمان وألم الفاقة الذي يعيشه الفقراء والمعوزون ممن لا يجدون قوت يومهم[3].

رابعاً: الحج:

وهو كذلك ركنٌ من أركان الإسلام الخمسة، وهو واجب في العمر مرة واحدة على المستطيع القادر ببدنه وماله.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصيام، باب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، حديث (١٩٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ (الفتح: ١٥)، حديث (٧٤٩٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب: الصيام، باب: فضل الصيام، حديث (١١٥١).

عز الدين بن عبد السلام (٣٥) وما بعدها.

Scanned with CamScanner

حِكَمه:

١ – عبودية لله تعالى، وذكر له، وتحقيق للتقوى، والتزوّد من ذلك، ومراجعة للنفس ومحاسبتها، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة: ١٩٧).

٢ – التطهير من الذنوب والتخلص من الآثام، وتجديد التوبة والإنابة إلى الله سبحانه، وعودة المرء كيوم ولدته أمه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (مَنْ حَجَّ لِلهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)[1].

٣ – تعويد على الصبر والتحمُّل، والتضحية؛ من خلال السفر وترك البلد، وفراق الأهل والراحة، وبذل المال والنفقة، وتحمُّل المشاق والعَنَت.

٤ – تذكير بالدار الآخرة ورحلة ما بعد الموت؛ من خلال اللباس، ومواطن الوقوف والرمي والمبيت وكلها تذكر بمشاهد يوم القيامة، ومشاقّه وأهواله.

٥ – تحقيق منافع دنيوية في الحجِّ كالتجارة، وتبادل الخبرات، واستفادة الناس بعضهم من بعض، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾ (البقرة: ١٩٨)، وقال عز وجل: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ (الحج: ٢٨)[2].

***

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: فضل الحج [illegible]

Scanned with CamScanner